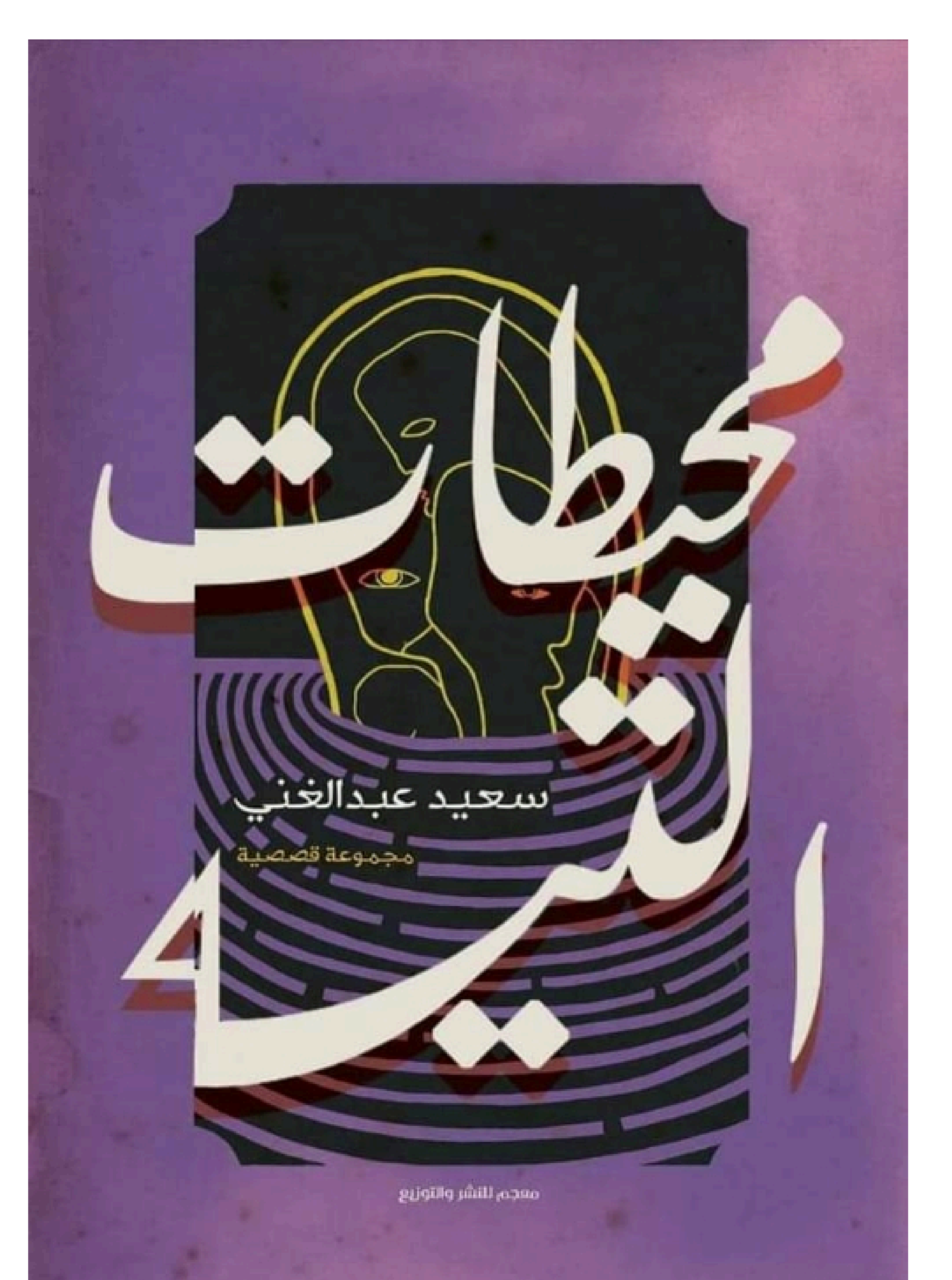


محيطات التيه
سعيد عبدالغني
مجموعة قصصية
معجم للنشر والتوزيع

محيطات التيه

السَّعيد عبد الغني

محيطات التيه

السَّعيد عبد الغني

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى: مايو ٢٠٢١

رقم الإيداع: 8876 / 2021

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 85888 - 4 - 2

mo3Gampublishing
mo3gampublishing
mo3Gampublisher
mo3gampublishing@gmail.com
01023090520
01112790326

محيطات التيه

السَّعيد عبد الغني



معجم للنشر والتوزيع

إهداء

ظهر له أمام بوابة الأزل السوداء الكبيرة، مزخرفة بفنٍ فارسي، يحرّك يديه، أصابعه وكفه عليها، وأحيانا ينبش فيها بأظافره، تصدر صوتا مقززا، يطرق عليها بشدة، ويبدأ في الصراخ (آه.. آه.. آه)، ويقول، هو يضع يديه على البوابة لأعلى ورأسه متدلية بينهما:

ليس بي غيرك وكفري

ولست الأوي إليك في نشوتي أو ألمي.

ليس بي سوى إبعادك ومفري

ليس بي لما أشهدك سوى قلبي

ليس بي سوى قلبي.

سُدى أي دربٍ تعضد به قدمي إليك

سُدى إيماني وسُدى كفري

منعتني وحدتك وما منعتك وحدتي

منعتني كلك وما منعتك كلي.

أستوحش من مريديك الكثر

وأنا المشيء الفاني بلا شبهة إرادة أخرى فيّ.

فارقتني ورأيتك كما كنت في جواري

امشِ عني. »

يبدأ بالمشي جيئة وذهابا أمام البوابة:

أقسمت بوحدتك على وحدتي

أن مجاذبتي لك لألمك لا لألمي

وأن فنائي بك لوجدي لا لوجدك.

يدور ويدور ويدور حتى يسقط على الأرض، ينام فاردا يديه كالصليب:

متى تُفعّل سلطتك الكلية عليّ

وتهزم ضمي لكفرك

وتغتصب لغتي بنورك؟

أنا قحط السائر وأنت خضاره

أنا الفاتق وأنت الفالق

أنا اللُّغة وأنت المعنى.

خذ كلك مني لأفنى

لتدمر الأكوان نفسها وبعضها وتفنى

خُذ كلك من المجاذيب وافْنى

إنَّها نشوة اللمس لعلتي وعلتك

لن ينزف الزمن بعدها لَحظة

وابن الألم إبليس خذ منه وجدْه وافنه معنا

جلدي تجعد من نورك

وجلده تجعد من نارك

فوحّد انشقاقاتك يا واحد

ولا تستبقي ذرة.

سكرت وما خيّلت غيرك

وشبعت وما أظمأني غيرك

أي تجريد لا يُدرَك أنت؟

أي أين يُلقى فيه كليّ بلا مقارنة؟

أي وحدة لا تستغني عن حجبها أبدا؟

أنا العائش على الخلق والتدمير، لا أعرف.

ينطوي جدًّا، وينكمش، يضم أرجله إلى يديه ويرتعش، ويقول:

اغفر لي نواي الوجداني عنك

ونزوح الغريزة نحو غيرك لا الإرادة

اغفر لي رؤيتي غيرك

وضيق قلبي عليك

وثورة يداي على وحيك

وفرط خلقي لطيفك

وانقطاعي عن نورك.

اغفر لي كوني فاطرا لنفيك

ومضيعا لوجدك

اغفر لي نزعي لغيبك

وهوان المعنى والعالم على يديّ».

في ليل ما حدث اختلاط ونقل للا وعي الناس مع بعضها؛ حيث أخذ كل شخص لا وعي آخر، وأخذ الآخر لا وعيه. بحيث كان أحدهم هو العائش أحداث وتخيلات ومكبوت آخر بشكله هو في الحلم، وبالطريقة الأخرى كان لا يحيا في نومه وحلمه، وأحداث حياته، ولا يشارك فيها، بل الأمر أنَّه كما يرى سينما. بدأ كل شخص من الذين يحضرون السينما، يبحث عن هذه الشخصية التي يحلم بها، ولكن كيف سيجده، وسط كل هذه المليارات من الناس.

أخذت أنا لا وعي رجل صوفي بحق ومصدق، في حين أني كنت في الواقع ملحدا؛ بدأت في اكتشاف ذلك الأمر بعد فترة طويلة، حيث في أول مرة تساءلت إن كنت سكرانا أم ماذا. يكتب لها أشياء غريبة وفريدة، بينما أنا كنت رساما، لم أعد أعرف أيهما نسبي، وعلى من أقول أنا؟

أتقلب في نومي كثيرا جدًّا على اليمين واليسار، أول مرة حلمت مما في لاوعيه. حلمت أني أقول شعرا، وأنا واقف أمام بوابة سوداء عظيمة مغلقة. قمت مضطربًا جدًّا، خبطت في الباب، ويداي كانت ترتعش جدًّا. من أين أتى هذا الشعر، فأنا لا أكتب إلا قليلا. ذهبت لأجهز فنجانًا من

القهوة، سقط برطمان السكر من يدي، فتركته وجريت للوحة البيضاء في المرسم، وفي قلبي وجودي كله، كما أذهب دوما إلى اللوحة عاريا مجردا بعزم المريد الواله. مسكت قلمي الرصاص، وأشعلت سيجارة، وبدأت أرسم المشهد الذي رأيته. وأقول في نفسي "هل ما زلتُ في الحلم؟ أم أن الواقع هو الحلم الأكبر؟ وما هذا الكلام الذي يقوله هذا الشخص في حلمي؟ ولِمَ أره؟ ولِمَ جاء إلى حلمي أنا بالذات؟".

فركت رأسي، وحركت عيناي، ومسحت على وجهي بيدي اليسرى، الشمس طفقت في الدخول من النافذة، وجاء بعض ضوئها على وجهي، فأخذت شهيقا مستعينا بحرارة الضوء، وذهبت لأستحم وأفكر.

في الجهة الثانية كان يحلم، مَن أخذ لا وعيي، هذا الصوفي؛ أحلام جنسية، وعوالم تتدمر، وأُناس يُذبحون، وغربان وحيوانات، وأن أحدًا يتعذب، ويرسم علامات استفهام على السماء بيده المليئة بالدم، ويقول في نفسه: "مَن هذا الذي في حلمي؟ أين أحلامي المعتادة؟ أم أنَّ هذا مكبوت لا وعيي؟ لست معتادًا على تلك أحلام. من يتلاعب بلا وعيي؟ وقام ليطوف ربما يعود لطبيعته، حاول الطواف ولكن ما حس بحضرة أحد وداخ بعد دورتين.

الثياب المهلهلة حاول خلعها لم يقدر، تعود أن يطوف في الصباح ليخلق في نفسه نورا أو يستكشف وحيا من الرقص. لم يكن صوفيا كما العادة المعروفة عنهم. لقد كانوا ينبذونه من الحضرة لشطحه العظيم، لذلك كان يطوف وحده في بيته، ويخلق معجما آخر من الحركات،

يؤديها ويمزج بين أنواع الرقص المختلفة، حمى تكوين الأكوان فوق رأسه بالطواف، كان يشحذه من عيش المطلق فيه وسلالة تجليه.

قبل هذا اليوم قرر أن يطوف إلى أن ينتهي وعيه، ويسافر في غيبة الأبد، في هذا الصباح كان يقرر ذلك، ولكنه تصادم مع لغز مفاجئ لا يعرف كيف يفكه، أو كيف يفسره. هو لم يمسك الفرشاة ولا مرة في حياته، وعلة ذلك أنَّه يرى أنَّ اللُّغة كافية للتعبير عن المعنى، بينما اللون يعبر عن مرئي فقط، وتساءل أين بحر النور فوقه؟!

هذا الملحد كان وحيدا أيضا، لم يكن من عامة الملحدين، قصة إلحاده كانت بعد العذاب بين الأفكار لمدة طويلة، غياب المعنى كان هو السبب الرئيس الذي رسم إيمانه بذلك، لم يكن إيمانا بسبب غضب أو إيمان بسبب نازع نفسي. كان إيمانا خالصا بعدم وجود الله بشتى الاحتمالات الدينية. في البداية كان عنيفا جدًّا، ولكن في النهاية أو بالتحديد منذ سنة، تحول هذا العنف إلى لامبالاة، كأن هذا البحر من الأفكار الرافضة هدأت أمواجه، وبدأ يحاول أن يحيا بدون علة الله في الكون. لم يكن الأمر سهلا كونه أخذ دربا آخر، درب نسبة الغائية فيه لوجوده الذاتي معدومة. لم يعد يبرر لأي أحد أي شيء، لم يعد يبرر أفكاره. الأسئلة كانت كثيرة بهذا الإيمان الجديد. أسئلة عن الأخلاق والجدوى الكلية... إلخ. آمن بذلك كله، وبدأ في رد المجهول الذي لم يعرف بعد للعلم ليعرفه حيث لا يوجد شيء مفارق. لم يكن مرتاحا عندما كان مؤمنا وليس مرتاحا الآن. في جوفه قلق مجرد ولا طمأنينة لا تنتهي، كونه تعمق بتطرف في مساحات الداخل بدون عائل علائقي.

كانت لديه علاقة وحيدة أو اثنين. ابتعد عن أهلي وابتعد أهله عنه بسبب إلحاده، بعد مشاجرات كثيرة، انتهى فيها أبوه بضربه.

جسده متوتر جدًّا الآن، يرتعش بشدة، يشعر بتوتر كلي وقلق حاد، ولا يعرف من أي شيء بالضبط، هل هو من الحلم؟ يُخفِض هذا القلق طاقته للصفر، ويخليه من الرغبة في أي شيء حتى في فهم هذه الحالة المتكررة، يرى في مخيلته مرئيات بشعة بالمنطق العادي، ولكنها لا تجعله هلعا، وليس لديه نوبات هلع أو شيء من هذا القبيل، فقط وجدانه نشط في تأمل تعامل الناس حوله معه، وبينهم وبين بعض، وتحليل ذلك، وأحيانا كثيرة الضيق الشديد مما يجده في نهاية التحليل والتقصي، يؤثر به حتى إغلاق الباب بشدة أو بعنف أو كلمة من أحد ما، أو رؤية أحد ما قريب، أو غريب يتألم، ولا يعرف إلى متى سيظل يشعر مكان الآخرين.

الفُرْشَاة تتذبذب بين أصابعه على اللوحة، لا يشعر بالجزء السفلي منه، وربما يكون ذلك ناجما عن الغياب في التخييل لفترة طويلة، والابتعاد عن الواقع والبديهيات الحسية المعروفة، إلى بديهيات مدمرة في التخييل.

هناك شيء يريد شرحه لنفسه، أنه عندما يخيل لا يعود ثانية لنفس الخيال ثانية من بدايته، بل يدخل في مرحلة أخرى منه في يوم تالٍ أو في نفس اليوم، ويدخل في التخييل بكله، وبدون أن ينظم الوقت للدخول فيه، رغم مراقبته لنفسه طوال الوقت، وفي التخييل هو يعي ويدرك أشياء جديدة ومعانيَ وليست من ذاته فقط، ولكن من الكون المتقدم

ذلك، ويفقد فيه وسط موجات في هذا الكون غير الهندسي، واقعه الآخر الحر من كل الحدود والأنظمة، وهذا الكون لا يستطيع الابتعاد عنه لفترة طويلة. لديه حنين غريب له ودائم، وهو ليس تقليدا للواقع، ومحاكيًا له، وليس به ما يرغب به بشدة وما هو مجنون به في العالم الواقعي بل كون كل ألوانه مختلفة جديدة، وكل أشيائه وأشخاصه بشكل مفرط في الدهشة التي أحاول تشريحها الآن أنا بالكتابة.

- قصة إلحاده
- قصة صوفيته

في الجهة الأخرى للصوفي قد مسك القلم ويداه ترتعش عليه، وبدأ في الكتابة «إني أتذوق كل شيء في العالم إلا الموت، أقف أؤول وأطوف وأدور وأذهب لأطراف الفكرة، أو هو ليس الموت بل الفقد، إن الموت هو الفعل فقط، أما الأثر هو الفقد النهائي المغلق، كل الاحتمالات للتواصل ثانية برسمية إلهية أو عبثية أو وجودية، لم يعد هناك فضاء، ولم يعد هناك قدرة على الاستكشاف، في لحظات طوباويتي أكون مؤمنا بأنه لا موت، ولكن من أين آتي بضحكة من فقدت؟ من أين أتصفح كينونة نادرة، كينونة الموتى الخاصة لبعض الناس الذين أعرفهم، إنَّ هذا الفقد يُحدث اكتفاءً من الحياة، وفقدان الشهية للبقاء، وبناء علاقات أخرى خوفا من الفقد هذا.

الميت يأخذ كل الأجوبة معه ويترك لنا كل الأسئلة. وأتحدث هنا عن الموت لا الانتحار، لا أعرف هل لكي أبرر لنفسي رغبتي في الانتحار؟ ولكن المنتحر ليس ميتا، إنَّه اختار ذلك، مع الاعتراض مني

على اللُّغة في اختار هذه، لأن نفس المنتحر ليست كنفس الميت، فيكفي على المنتحر عذابه من أن يتعذب بذنب شعور الآخرين بالفقد، لأنَّه شعر به هو بالتأكيد، ولكني أريد أن أفقد نفسي نهائيًّا، ليس لأي وجود آخر، بل لباطن آخر، ولكنه ليس الحل، فبالفعل لا يوجد حل لوجودك، الانتحار فقط استعمال الموت كمحاولة أخيرة لوقف قصتي البائسة، ولكن الانتحار يغلق احتمال الاحتمالات بالشعور ثانية بأي شيء أو التفكير في أي شيء، وهذا ما يوقفني حاليا، ليست لي أي رغبة في المعرفة أو الاستكشاف في العالم، فقط وحشتي، لديَّ هذه الغرابة".

وصوفيته لها أسباب كثيرة، منها أنه لم يكن يستطيع أن يرفض الله، ولم يكن يستطيع أن يضمه، وربما هذه من المشاكل الكبرى عنده، كان جنونه يحميه من الكآبة، وشعريته تحميه من الإلحاد. كان يشعر بميل إلى الحب الجبراني لله، ولكنه كان عنيفا في غضبه من الأديان والله وكل شيء. لا شيء يعجبه على الإطلاق، ولم يكن هناك شيء يعجبه، لا لأنه يظن أنه إله، وقد كان يظن أحيانا أنه إله، بل لأن كل شيء سيء حتى هو، كل شيء خرب وبلا معنى. وكان يغضب أكثر عندما يجد أحدا لا يعي خرابه، ويتفوه بالكلمات التي تحمل طاقة إيجابية، لأنه يكذب، وإن لم يكن يكذب فهو غير واع لها، وإن كان واعيًا فهو لا يرى الأمور بمنطق سليم، بعيدا عن الخوف من اللا مبالاة واللا معنى. الصوفي كان أيضا يشعر باللا معنى، ولكن بطريقة مختلفة فهو لا يواجهه مهما وجده، ويخاف من ذلك، ولكنه يتسرب خلسة خلسة إليه، مع أنه يعرف أنه الحقيقة الوحيدة في الوجود.

ذهب إلى سريره ثانية، ولم يكن يريد أن يرحل عن سريره أبدا، بعضهم يقول إنه مريض ولكن كل شيء مرض، ماذا لو لم نكن هنا، وعقلنا يصطنع كل شيء، ونحن في سبات في مكان آخر من العالم، أليس هذا مرضًا؟ لماذا لا يأخذون آهات المريض كأنها شيء غير حقيقي؟

مع أنه في الجنون تتكشف أشياء لا توجد في العقل الطبيعي العادي، كأن لعرفة حقائق أكثر ونوايا للطبيعة أكثر يجب أن أجن أكثر؛ ربما يجب أن أجن نفسي، تمريض الكآبة دليل على الانهزام أمام تأويل المكتئب في العالم وكل شيء. عاقبة اللا معنى هو أنه لا يجعلني بحاجة إلى فعل أي شيء، ولا الدخول في أي فكرة، ولا الشعور بأي شعور، فقط صمت خائن لإرادة البقاء، وشعر هو بدعة وجودي. ولكنه كان يتأمل وكانت طريقته في التأمل غير قاموسية....

التأمل بالنسبة له إيجاد لشيء ضائع غير معروف من الرؤية، درب منتزع من فساد الدفء المعتاد، ثورة على الخمول الروحي، وسأم الثقيل في المجهول من كيانه، بعض الأشياء تحب أن تحتجب وهي الأشياء الثمينة التعليل، يأخذه التأمل إلى فريسته السجن، لكي يدرك كل شيء به، فالغالبية لا تعرف كم السجون التي هي بها، وما مزاياها وعيوبها، وما هو الشكل الطيفي اللا مرئي له، الذي ينطبق عند استخدام المخيلة. التأمل يجعله يعرف سجونه والانتماءات التي لا زالت في علائق الوجود، والتفريق بين السجون الإجبارية والسجون الاختيارية، السجن الاختياري هو الإيمان بأي شيء والانتماء، الانتماء يكون باليقين في حقيقة ما وهو ترك ذلك كله. أما السجن الجبري هو الكونية والوجودية والكيانية كما هو

عليه الآن، كأنه عدم، أكسبته قبلية أشياء، والآن هي فقط التجريد للعودة إليه، الإجبار في هذه الأدوات التي استخدمها والأبعاد التي يتحرك فيها، التأمل يجعله يعرف المعاني التي به واللا معاني، الوجدان والضمير يتبع المعنى، مثلا معنى الشعر، وأنَّه أصيل به، بينما الحب لا، فهو لا معنى بالنسبة له، المعاني زنزانات لأنها تجبر على الإرادة في البقاء، كلما جردت فزعت من التلاشي للكيان والتجريد لإدراك وجود الشيء في نفسه وماهيته فيه، ولكن هناك أشياء لا توجد لها ماهية فيه، لأني لا أعرفها من الأصل ولكنها موجودة خارج وعيي.

المعنى لا يحد، والماهية لا تحد، والمجرد لا يحد، هم يُوْجدون في الفضاء فقط، هو يدرك المعاني في التأمل بشكل ومضمون قوي جدًّا، ويكون قريبا جدًّا منها، والتأمل هو إدراك المعاني، والاحتكاك بها يؤدي إلى تنزيه الأنا عن رغباتها، إدراك المعنى يجعله طوباويا، وإدراك اللا معنى يجعله عدميا، والتجسيد يكون مع المعنى، بينما اللا معنى يدمر إرادة الخلق من الأصل.

***

خرج الرسام ليعربد، ليحاول ترويض عقله وكبته بالجنس، فالأفق الحيواني فيه يستخدمه في هذه الأحيان من التفكير المتطرف، في شيء واحد يقزم عليه وجوده كله، ويحصره في فكرة واحدة وشعور واحد. يكره ذلك جدًّا. أراد أن يخرج وحيدا رغم معرفته ومريديه الكثر بعد محاولات نوم كثيرة لم يستطع النوم فيها قط. سيهلك جسده حتى يستطيع النوم والعودة أو الرحيل من هذا الحلم الغريب.

وهو يسير إلى البار، كانت تنسج اللوحات بشكل ثري ومتتابع، كأنه وحي لوني، والوحي هو جرأة الأشياء على البوح بهويتها بلغة تجريدية ومصارعة ضد المعنى السائد بحيوانية الإرادة، في اللا مفهوم، وتجاوز الدلالات بكثافة، وعمق إلى دلالة الوحدة. رغم أن هذا العالم وحيه في الإنسان هو الجنون والانتحار. كان دوما الليل له علاقة معه في الرسم والخلق، كأنه بداية الوحي للمستلب، وهو من المستلبين من اللون. مذهل الليل في فخاخه للسريان للتأمل والتفكير للعدم. ضد البقاء هو، اعتراشية هبائية من الترقب ضد كل شيء، وفهم مختلف، واستكشاف لأضلاع المأساة. في الليل يمسك المرآة وهو عارٍ، ينصت إلى فراغها المرهف، وهو حر من الوعود لأي شيء، أو لأي أحد، بعد جبرية الملأ الكبير للفلسفة، من الابتلاع والامتصاص الذاتي. لم يذهب إلى البار، وعاد سريعا للبيت ليرسم، وهو يرسم أمضى الكثير من الوقت مترددا، هل يحلم أم لا؟ استمر لردح من الزمن هكذا، وفي النهاية استقر على أنه لا يحلم أو لم يستقر.

هذه الليلة غريبة عليه، إنَّه يكتب فيها وهو مستيقظ وهو في الحلم، نائم بجوار النافذة المفتوحة على سريره. الدفتر بجواره والسجائر الرخيصة، لقد اهتم أن يدون ما يقوله هذا الرجل في حلمه، لذلك وضع الدفتر بجواره. يكتب لما يستيقظ ويحلم أنه يكتب كذلك، ولكن في الحلم يكتب بلغات كثيرة بجوار بعضها، ويتفوه بموسيقى، كأن لسانه جيتار وكمان وناي.. إلخ، لقد زيلت الجدران في الغرفة بفعل مجهول، وهو على سريره يتحرك حركات لا إرادية كثيرة، السماء ملونة

بضوء أرجواني والسرير حوله أزهار ولكنها بلا عبير، يسمع نبض قلبه ويسمع أزيز الهويات الضائعة في داخله، يقضم على أصابعه قبل كتابة كل جملة، يرى وجها من بعيد، ربما هو في لوحة سابقة رأيها وربما لا، لا يهتم ولا يتبين بعينيه الوجه، فقط ساكن وعلى وجهه ابتسامة.

يدخل في الحلم، المجهول الجبري الذي يدخله جميع الناس بعيدا عن المعلوم الواضح لهم طوال الوقت، وهو يحب هذه الجبرية جدًّا، ويكره الضوء الذي ضر بالشاعرية، كونه جعل الناس تحيا بدون ظلمة، لينسوا اللا مرئي والمجهول الكائنين في الوجود.

في الحلم كان يتنقل بين نيران بكل الألوان ولا يحترق، يمشي فقط ولا يرى أي شيء في النار غيره، نيران صافية بدرجة رهيبة، بعد ذلك، وجد مشهديات غريبة، لا يعلم هل هي مشهديات بداية الكون أو نهايته؟ انفجارات مستمرة والدخان والغبار يزحف إليه، ويقف أمامي ولا يلمسه، كان أحيانا يتشكل كأشكال فنية وأحيانا أشكال تجريدية، يريد أن يرسم هذه التجريدات الكونية الممسكة بمخيلته طوال الوقت.

في حين كان الشاعر الصوفي يحيا وحده، بعد أن ترك عائلته لنشاطه الروحي الذي لا يتطور إلا وحده بقوة المخيال. الأجنحة لا توجد إلا في الهواء ولا تعمل، في اللا حدود. لم تكن علاقته بعائلته جيدة؛ يتشاجر معهم كثيرا، حتى آخر مرة قال له أباه العليل الذي لم يناقشه في أفكاره قط، أنه سيذهب إلى النار من وراء علاقته الغريبة مع الله، وتطاوله عليه مثله مثل الشاطحين. وهو منعزل تماما من فترة كبيرة لا يفعل شيئا سوى الطواف والسكر، وأثّر ما قاله أبوه فيه بشكل

كبير، فنزل وهو يقول في رأسه "سل القلوب التي نبذت لم نبذت ولم تَحْوِ؟ سل من خلق لِمَ خَلق؟ ولِمَ ينسي؟ سل نفسك لم تتوحد وتدخل شرنقتك كلما لاح مريدٌ؟ سل كل شيء لِمَ تسأل ولا يسأل؟

وبدأ في التحدث مع نفسه بصوت مرتفع

"أنت وحيد لأن كل شيء نبذك، وحتى أنت نبذت نفسك، ونبذوك لأنك مختلف جدًّا عنهم، ولا تكترث لهم، ولا تفكر أن تكترث لهم، أنت غريب جدًّا وغريب حتى بين الغريبين، تجمع كل شذوذ العالم بك، وكل ضجر العالم بك ولكنك وحيد جدًّا مثل الله، وبت الآن تعرف شعور الله وكرهه لما خلقه، ونبذه لكل شيء، الله أيضا منبوذ من كل شيء، لأن لا أحد يقترب منه إلا لجنة أو مصلحة، لم يحب أحدٌ الله كما يجب أن يحب، ومن كثرة كآبته مثلي ينبذ من يقتربون منه، ينبذ من يشبهوه أقل، أكثر من الذي ينبذوه لأنه يحتاج في كل لحظة أن تفوز كآبته بأنه سيبتعد أو سيمل منه رغم خلاقيته الكبيرة، وهذا له أهمية كبيرة أن يحاول أن يجعل كآبته تنتصر، وأبدا سيفعل هذا وأبدا ستفوز كآبته، الأمر فقط هو نفس كآبة من يشبهوه بعدهم بعد مرة أو بعد ١٠ مرات، ولكنه سيرحلهم ويهجرهم من غير أن يشعروا بأنه قرارهم هم، كآبتي أذكى من كآبة أي أحد، وأذكى من عقل أي أحد."

كان دوما آفة وملعونًا في حياته الشخصية، في الطفولة، آبق عن كل شيء، وذهب لصداقة الشحاذين والعرابدة، في المدرسة كان يتشاجر مع الجميع، ويُطْرد من الفصل، ويُضرب بكل الأشكال المعروفة، كان عفنا في جسد هذه العائلة وخطيئة في رحمها، يلعنونه جميعا، لذلك

هرب كثيرا من البيت، ولم يعد إلا بعد الشعور بالجوع، نُبِذَ من أقرب الناس حتى من ذاته، ولكن هذا النبذ أغدق فيه قوة وعدم خوف من أن يمتلئ بالكراهية الصادقة، ومن أن يتطرف في الفكر والشعور، كان دوما هو، ولكن هذا لا يعجب الناس، عرف قهر الليل والبرد والبكاء تحت المصابيح الشتوية وآلمه البعوض ونظرات الناس بالاحتقار والتعجب والقحاب الذين يريدون امتلاكه، والنهر من كل شيء، وابتعاد الناس عنه، عرف النوم في القبور الفارغة، لأنه لا يريد النوم في المساجد والثعالب المحيطة، عرف رميم الدموع وحبس العري، ومعاناة الناس من أقل شيء يستحقوه ولا يمتلكوه، تناول المخدرات من كل صنف منذ الصغر، وكان له أصدقاء خياليين كثر، أكل من قبل من الزبالة، وكسر جرات الطوباوية قليلا، ولكنه شرب كل ما وقع منها وحشش مع شيخ الجامع..

***

وبدأ في الكتابة "الألم هو الذي خلقني، هو الذي خلق فلسفتي، والنشوة هي التي أضاءت هذه الفلسفة. أحس أني غائب كُليًّا عن كل شيء حولي وكل أحد، غائب في دواخلهم وغائب في داخلي وأن وحدتي بعيدة عن أي وحدة أخرى حتى ليست في مداهم، لا أعرف من أي شيء نهلت هذا الرفض، وكفرت بكل ما هو سائد، واِنْحَزْتُ إلى الجمالية العنيفة لا الجمالية السلامية، وتسربت من القضبان حتى قطع جلدي، والذي أفرز ذلك جلوسي مع عائلتي اليوم، تقريبا من سنة لم أجلس معهم، إلا وتشاجرنا في النهاية وطُردت، لا أعرف أي شيء

عن إخوتي، لا ماذا يفعلوا ولا ما وصلوا إليه، أشارك بطيف جسدي فقط معهم، لم أتماثل مع أي أحد من أفراد عائلتي البيولوجية ولم أطع أوامرهم ونواهيهم ولم أبْق في حدودهم فطردت من جنتهم، لا أشبه أي أحد فيهم فقط وجهي يشبه قليلا والدي، كل أحد فيهم يظن شيئا بشعا عن هويتي، إما قذرٌ وإما مجنونٌ وإما مريضٌ نفسي، وإما زنديق وإما قاسٍ... إلخ، لم أُعِر ذلك أي اهتمام ولا أهتم له. العلاقة النفسية ممحوة مع جميع الناس. شخصيات عائلتي جيدة وطيبين جدًّا، ولكن فكرهم شديد التخلف والرجعية والحكم والسلطوية المعتمدة على استخدام وجدي البسيط لهم، وربما أنا أقول ذلك لأني ربما أحب جلاديّ. على ماذا أنقب فيك أيها الجلاد؟ عنيّ؟ أم عن علة الخلق؟ أم عن شرطية البقاء بوجودك؟ لقد غلبني الفكر.

أصبحت أتوقف عن إبداء رأيي في أي شيء يتناقشوا فيه، كأني عابر سبيل، أتشاجر مع ذاتي، وأتحدث في رأسي، وأكتب وأرسم على الحوائط، وأتمشى وأخيل، لقد أبعدتني أفكاري عن كل من حولي، وأبعدتني شاعريتي عن كل من يشبهني فكريا أيضا، فوجدت نفسي في أقلية ليس بها إلا أنا، أبغض كل شيء إلا وحدتي، وأحمل شناعة عظيمة بعد تخلص العالم مني كإنسان يتخلص من برازه وبوله.“

أشعل سيجارته الخمسين الآن، الساعة قاربت على الرابعة فجرا، ولا زال لا يستطيع النوم، رغم تناوله المنومات، ولا يستطيع الاستيقاظ أيضا، إنها حالة من البؤس شديدة الإرهاق، عيناه تنغلق وحدها ولكنه كلما ذهب للسرير امتلأ رأسه بالحديث، ولا يستطيع

التركيز في عدم تخيل أي شيء أو عدم تذكر أي شيء، يشعر بظمءٍ شديد إلى لمخدرات وظمءٍ شديد للكتابة، رغم أنه كتب اليوم كثيرا، ودخل أرحام معاني كثيرة لا نهائية، وسود مع ذلك قدرا لا بأس به من باطني، حبس خفاشا في قفص بعد أن نصب له فخا جيدا، كان دوما يمسك الفراشات والدبابير من على السماد، عندما كان يذهب مع جده للأرض الزراعية، يحدق فيه الآن بأجنحة سوداء، لا يعرف هل هو ذكر أم أنثي، ولكنه يحدق فيه أيضا، يحب دوما العناكب العقارب الثعابين الخفافيش، يحب رؤيتها، إنَّها كائنات لذيذة لا يحبها الناس ولا يشعروا بجماليتها المفزعة، أن كل ما يخيف الناس به جمالية خاصة، فوق جماليته الطبيعية، مسكه ومشّى يداه على أجنحته، وتركه بعيدا يطير وزفر آخر نفس في سيجارتي، وتعرى قليلا قليلا، وبدأ في الرقص والكتابة على الحائط، كلام فوضوي لا يمت لبعضه بصلة، أحرق منديلا وتلذذ برؤيته يحترق، يحب دوما أن يرى الأشياء وهى تحترق وتتحول إلى رماد، خير لها من أن تولد وتتكون في هذا العالم اليائس البائس.

يريد العودة إلى قريته رغم أنَّه يشعر أنه أنجز الأفول بشكل كامل في داخله، بما أن الإنسان يخلق كل شيء في كيانه بنظرة غير كاملة، وخان عينه الوجدانية البريئة لصالح تركيز الغضب، وترهبن وفى الرهبنة صلابة ضد العالم والسائد.

كيف يخرج إلى العالم الآن بعد كل ما عرف عنه من بشاعة، بعد حسم التفكير والتأمل لحياته في عبثية بعيدة وغريبة. كان في الصغر

يتأمل في كل شيء ويستمتع بذلك. الآن يتأمل في كل شيء ولا يستمتع بأي شيء، وتساءل من كان عندما كان طفلا؟ استيقظ خمولا، كثيف الدلالات لليأس والشؤم. يمشي بين أرجاء الشقة الفارغة عاريا كليا. والطقس بارد جدًّا، وصوت زخات المطر يسوط الأرض والجدران، ولا يعرف أين هو طوال الوقت ولا في أي زمن؛ فالمكان والآن العالمي هم أعداؤه.

علاقته بالعالم كلها تتلخص في نزوله كل فترة كبيرة لإحضار السجائر، والتعامل مع الديلر الذي يجلب له المخدرات. ولكنه كره ما يمضغه عقله من أفكار وما يمضغه وجدانه من مشاعر وقرر الخروج إلى العالم الواسع الذي لم يعد يدري أي شيء عنه ومحاولة أن يكون واقعيا كاحتيال لمدة بسيطة للبقاء. هو بعيد عن أهله في مكان غريب. لا يتذكر متى أتى، ولا ما اسمه، ولا اسم الشارع الذي يسكن فيه، بعدما طرد لجلبه العار، لكونه متهما بالإلحاد والجنون ومشككا في قواه العقلية.

سيعود إلى قريته الآن بعد أن شرب بعض الشاي على المقهى أسفل البيت، في شارع ملتهب بالأرداف الكبيرة، ينظر لها كل من في المقهى جيئة وذهابا وأيضا لرخص المشروبات على هذا المقهى. يفكر هل نسي أهل القرية ما كان يقال عنه، أم أنهم لا ينسون عورات عرفهم، من هو مستباح بلا حق شرفه وقواه العقلية ووجدانه؟ نظر إلى من في المقهى بسرعة لكيلا يلاحظه أحدٌ وهو يطوف، وبدأ في هز رأسه ليستمتع قليلا بنشوة الطواف لإله مخيلته الماكر.

عليه أن يراها قبل أن يخرج من المدينة؛ هذه هي الإنسانة الوحيدة التي كان يراها لمدة سنة وحيدة، وفكر في أن العزلة والوحدة هم من يخلقون الفناء في الله، لأنه لا يرى آخرا، ويحتاج آخرا، فيلصق الآخر فيه كله، وبعد ذلك يكون هذا الآخر الوحيد جسرا للاتحاد في أنّاه، وشعر بشيء يتكون في مرئية ربما، هو الشيطان، وربما هو شخص له، وقال: أنت تشبهنا يا صديقي نحن الحزانى الأوائل

فقلت له: أريد أن أمثل بجسد أمي وأبي لجلبهم لي.

فقال: أخرجه من المقبرة وأحرقه، لا راحة للمريد سوى في مراده، ليس في أي شيء آخر، والنفي أكرم ما يمكن أن تجده للراحة.

لن تنجلي عينيك من الدموع إلا بالفناء، لقد قفرت وكفرت وخليت، وشعرت ببطلان ما كنت مؤمنا به، من أنه لا شيء في وجدانك ضد وجدانات الناس الأخرى. أنت الآن منبوذ ولا تعرف لِمَ؟ ولا تعرف لم ينعيك الحاوي لك فيه، إنها مسيرة طويلة. والزمن سيترجم لك العلل بلغات شديدة وقاسية الدلالة، عهودك مع العالم اقطعها، إنك من نوري الآن، لا تطالك أي جهة، أَفْهم خلوتك الجبرية، أفهم روحك يا خليلي، زِل خلوتك منهم وتعال إليّ، أنا خيّام الحقيقة.

– من هاوية لهاوية أسير يا ابن عرائي الوحيد، أنا مهووس بك في أعماقي العدائية ضد كل شيء، لنضحك ونعربد على ظهر الزمن، ولا نتوكأ. يكفي ارتعاش يديك عند ذكر اسمه، ودمعة الشرود الثقيلة.

إن كان المسجد بيت الله، فبيت الدعارة هو بيتك، وهو البيت الوحيد الذي لم يغلق في وجهي، فبيت الله أغلق وبيتي كذلك، ولا

بيت خالد، وكل البيوت عدائية للهوية والمعرفة والمثول للحقيقة.

كان لديه خليلان تخيلان، عشيرة كاملة، بدأوا يختفوا واحدا تلو الآخر، لا يعرف من كان يأتي له؟ الله، الشيطان، الملائكة، الشياطين؛ أم أنها تطاحنات مرئيات مختلفة خلقتها مخيلته. بسبب شدة التوحد، وربما بسبب جدته التي فقدها مبكرا. والتي كان يتخيلها كثيرا. ولا يقطع أمله في تكونها كجثمانية بعد حضورها كطيف دائم، ولكنه الآن يشعر ببطلان الأطياف والجثمانيات أيضا، لم يكن أفعل شيئًا سوى الاستغراق في التأمل.

والأنس الشديد مع الصفاء الداخلي والتركيز على أحد الألوان، وربما هذه القدرة التخيلية بسبب تخييلات الدين والما وراء فيه. لأن كل ما كان يُلقى له كلغة، كان يدوره كتصورية مشهدية، وكان كل ما يريده يحققه في مخيلته، وربما هذا جعله خاملا، وربما ذلك ما أفرد فيه التفكير في جدوى كل شيء لأني الجدوى مفهوم زمني متقدم، وهو بخياله كان يعبر الزمن إلى جدوى أي شيء.

المكان مظلم جدًّا، ولا يعرف ولا يرى ضوء المرئي، مع أنَّه يتذكر أنه موجود في النهار، إنها عينه المتلاعبة بالألوان. لم يخش الظلمة حتى عندما كان صغيرا ولكنه يخشى ظلمة عقله، وعدم سيطرة قلبه على أفعاله، ويستكره إرهاق موجه المجتهد على ضفاف محظورة، مع أن وجدانه لا يؤمن بحظر أي شيء على أي أحد. لم ينتثر مسبقا هكذا، وبهذا الشكل الفج، حتى شذراته لا ترى بعضها ولا تحس ولا تحن لبعضها وتنبذ الالتئام مرة أخرى.

هو هائج كأعمى في حريق كمضطر في عجز مطلق، والزمن يفاقم استحبابه للعنف والتدمير، انفتح المرئي ثانية بالألوان، ولكنه عاد في ثانيتها إلى الطبيعة الزراعية لقريته، ينازع كل شيء لكي تتركه ذاته.

يزدلف من الشعر، يُؤَأْخِي عنوة بين كتلته وفراغه، يضيع كل مضاجعه في الليل، ويتيه مع ذلك ورائها يسوق الرياح، يسقي الشوارع المكبوتة بحبره وصرخته، هذه النفس الخائنة لأي رابطة، اللائذة بتفتيشه عن أي آخر لتنفيه، المدهوسة فيها أحلام الطفولة والقرية الربيع، تهدمه الطبيعة بلا خشية بجمالها، لأنَّ الجمال يزود رغبته في تدميره وتدمير كل شيء، وهذا كان سببا من أسباب كره القرية مع أسباب أخرى كثيرة..

هل هذا كله لأنه لم يلجم أي رغبة به، ويتجسس على تطرفه الطغياني، وما أودى به من جميع أشكال العذاب والنشوة الذين لا يمكن أن يتفاداهم، في عز حقيقته ومزجها بكل أوهام العالم.

قسرا وُجد، قسرا تشكل، ولا يصدق إلى الآن ذلك. إلى نبع ظلمة رهن كل الأضواء وسباها وعذبها. هو صائغ الأسواط جميعها يجلد بها ذاته، والعالم يستفز غضب الآلهة ليلعنوه، ويرى زعق الدلالة بالدم، يقول في نفسه: "اكرهوني اكرهني يا كل شيء وكل أحد، فهكذا أنعم بنشوة مطلقة بالوحدة الكاملة، وهكذا قلت لأمي في آخر مرة واجهتني بتخلف المجتمع ورأيها فيما افعل في حياتي:

- اكرهيني يا أمي، يعز عليّ أن تتألمي بحبك لي، لأني أمارس حريتي الشخصية، إني أكره تقاليدكم وأعرافكم لأنها صائتة تافهة"

ويتساءل هل خلقت ذلك الوحدة؟ هذه الوحدة مكبلة عنوة وبعنف في التلاشي، وحدة مجذوبة، ابنة إرادة النأي الصاهرة، عامرة بما يحوي الكون، مُهاجاة من كل من يعرفهم، رغم أنها عروس وجدانه الوحيدة، بها قوة الفناء ووهن العقل، يتمزق فيها ولا يسمعه أحدٌ، يتكون ككل شيء وضده الموهوم.

خالقة ما في عينه من تجليات، هكذا قالت لي المرأة التي أعرفها:

"إن عينيك بها تجليات كل شيء، ولكن ليس بها أي حياة سوى للألم، لِمَ تُحب ألمك؟ هل لأنه من يرغب بك فقط؟ ومن يدلك على حقائق الأشياء؟ ولكن كذلك لا تحيا.

شعر بأيادٍ تشده لأعلى:

"ما الذي يشدني للأعلى؟ أياد أليفة من قش تهزم المهزلة الداخلية.

كانت في ركود الوعد بالسكون، تأخذني بعد الدروب المسدودة، تطعمني نداءات حبلى بالخضوع إلى الذي عينه ترى ما في سفن النص، بعد الخيوط المتشابكة والمنحلة/ سطور الأفول، بعد البياض المركز، وطعم نحاسية الأفق البهية وتشريح الظلال لعرفان من خلق خمر الألم. ما الذي يحيا فيَّ ولا أعرفه؟

ما الذي يختبئ ويتفتح ويأفل أو لا يأفل ولا يخرج؟ ما الذي يجيء ويصير في ولا أعرفه؟ ما الذي يتكون في ويفني؟ ما الذي أقمعه بحجة الاحتجاب؟ ما الذي يتحرر بحجة العري؟ حويت نفسي وحويت ما فيها. حويتها وما حويتها، حويت قضبانها وأجنحتها، ولكني بالنهاية

كفرت بي وبها، وازدلفت من زاد الموت. كل هذه التعاسة بسبب عدم الرضاعة الحكيمة من الجنون، والرهافة إلى أعلى درجة من التلامس مع غير المحسوس المقلل من قدري العبثي، وعدم الحنان من أي أحد مطلقا حتى من ذاتي."

رغم أني كل ما فعله هو التعبير عن ذاته وممارسة الحرية الذاتية في الفكر وتحرير جعبة المساجين الذين أعطاهم له المجتمع مجانا وتلقائيًّا، قالتها له أمه في آخر مرة:

- أنت تحيا في مخيلتك والمخيلة، لا محالة هي جالبة المحرم كله.

- أمي لا يوجد أي محرم، نحن خالقو كل شيء وكل المفاهيم.

- كيف لا يوجد أي مُحرَّم والدين حدد بعض الأشياء المحرمة، إن مخيلتك ستودي بك إلى النار، وستودي بنا جميعا معك، لأنك لا تحيا وحيدا، كيف سنزوج أختك إن علم أحد بك، وهم قد علموا بالفعل وبدأت الناس تتحدث.

اقترب ليحضنها فدفعته بعيدا، وعندها ابتعد لسنة كاملة يحيا وحيدا. كلماتها في البداية كانت تترد لأذنه كثيرا:

- أنت نمرود، تمردت على كل شيء بشكل مطلق، انظر كم أنت تائه! وكم أنت بائس! وكم أنت مكتئب! ولا تعرف ماذا تريد، وغارق في القذارة والوساخة واللعن من الجميع، لم تفعل كل ذلك في نفسك؟ أنت وحيد جدًّا وليس معك أي أحد، لن تستطيع الحياة

وحيدا كثيرا، لا تؤنس الأفكار والخيالات وأولاد الحرام والقذرين، كنت أحن واحد فينا والجميع كان يحبك، ماذا حدث؟ لِمَ لا تقاوم هذا الشيطان الملعون الذي بك؟"

كانت قبلها تأتي لترقيه في الفجر، وهو يحس بيديها على شعره، ويتقزز مما تقوله، ولكنه كان يتركها لكيلا تتضايق، ولكنه كبت كثيرا، ولم يعد يستطيع كبت حريته بهذه الطريقة مدة طويلة، لأنَّه يفقد عقلي بالفعل.

وقال في نفسه "نهرني القهار بقهره لا يجادي

نهرني باحتجابه، وعدم تجليه في أي كنف نص أو عقل أو باطن بشكل كلي

نهرني بدكنة المشهد المختل في نهاية الرحلة

نهرني بشروخ العلة وقابليتها السهلة للتدمر.

لِمَ أومن به، وهو غاصب عيني على عدم رؤية سواه في كل شيء؟ عليَّ أن أهبط بهاء التأويل الشفاف؟

وبدأ في سؤال نفسه:

"لِمَ قطفت حياتي؟ ومسدت قلبي بعرق القسوة؟ إني أختبئ وأختبئ وأختبئ في جُزيء غير مستقر يسمى الوحدة، ولا أدرك غير جيفة العبث، لِمَ لا يساعدني أي أحد؟ الحقيقة والحقيقة فقط. ما هذه الرغبة في التعبير عنها في وجه الجميع وفي وجهي أولا؟ إنها طاقة تدميرية الحقيقة، أقوى كسّارة فائضة، غارزة منتهكة، أليست هي من

أبعدت الجميع عني؟ أليست هي من جعلتني سوداويا؟ أليست هي مخلصتي من الحياة؟ أليست هي ما تهيج البواطن والظواهر والناس والكيانات، ويفعلوا كل شيء لكبتها وقمعها؟ أليست هي من أهبط دمعي غير المقترن بأي دعاء أو تضرع لأحد؟ أليست هي مَن انتزعت منها هويتي؟ أليست هي من جعلت الآفلين والعواهر يريدوني ليستزيدوا من تدمير أنفسهم بإدراكي؟ أليست هي عاهرة العالم؟"

مُضْنٍ جدًّا عدم تأدلج الوجدان في أي علاقة ورابطة، إنَّه كذلك يستكشف بشاعة كل شيء فقط، وعدم مسحة الوجد الرهيبة الدفء. فقط تأصيل الوداع العارم المترامي مع كل شيء والغضب السحيق على كل شيء، ما الذي يربطه بالعالم؟ ولا أي أحد ولا أي شيء. هو حر في الرحيل متى شاء، ولكنه يريد أن يعرف من أمه ومن الجلادين لِمَ فعلوا كل ذلك بي؟ لم كل هذا النبذ؟ رغم أنَّ سؤال الجلاد عن نوازعه أمر غريب بالنسبة له.

رغم كل هذا فهو لم ينبذ حتى جلاده، كان لديه أمل في تراجعه؛ رغم تكسيره لباطن العالم من أفكار ومشاعر. سيعود للقرية وأول شيء سيفعله هو التمثيل بجثة أبيه الذي جلبه للحياة. دفن رأسه بين يديه كان هادئا جدًّا، ربما بسبب اتباع الطقوس اليومية من التخييل. وتجاوز الأبعاد الواقعية بها الذي يفرحه. ولكنه يشعر بملوحة في وجدانه، وشيء ما يخنقه ويناول روحه للحسرة الشديدة، والألم العظيم والنواحي الفاترة للحياة الثقيلة جدًّا على وهنه.

حاول أن يزيل هذه الأيادي المحسوسة وغير المحسوسة من على عنقه، ولكنه لم يستطع أبدا تحريكهم حتى، ولم يستطع الهرب بتخييل

أو تذكر أي شيء، وعندها أدرك أنه لا يوجد بها ذاكرته أي شيء جميل يُتذكر سوى اختبائه في الطفولة في غرفة الحيوانات لقراءة الكتب والاستمناء على أرضها.

في بدايات انتشار الأمر جلس في المدافن مع مجموعة يتناول الحشيش، وبعد أن انتشوا جميعا، سأله أحدهم:

- هل أنت ملحد؟ لا أراك في صلاة الجمعة منذ سنوات!

- لم تسأل؟ الأمر خاص بيني وبين الله فقط، لا دخل لأحد فيه.

- الناس كلها تسأل والأحاديث كثرت عنك.

ابتسم وقال: أنا أحشش وأزني ولكن لا أقترب من الله.

فضحكت جدًّا، فاستُفز ومسك لياقة قميصه، أزال يده بقوة وعنف وقال له: أنا حر في إيماني أو كفري، لو تطاولت ثانية سأقطع لك يدك.

فقام أحدهم وقال: "إن كنت كذلك فلا علاقة لنا بك ولن نحشش مع بعض ثانية".

الناس عرفت ربما من تحدثي مع بعض الأصدقاء، من كنت أعدهم أصدقاء، وبعض أفعالي لأني سكرت مرة وذهبت إلى المسجد، أخبط على بابه وأقول "اخرج"، القرية عتيقة الرهبة، مخيفة في معماريتها وفي أناسها، منسية في أرجاء الأرض، ومنسي هذا الزمن هو الآخر، مشهورة بموت شبابها، إما غرقا في النيل وإما في حوادث، مليئة برجال الأمن والمخبرين والفقراء والجهلة والمتعلمين الجهلة فكريا، أحادي النظرة ووارثي الأعراف والتقاليد بشكل انغماسي بالإطلاق.

لا يعرفون سبيلا لأي اختلاف، وكل البيوت لها نفس الصيغة الدينية الفكرية والاصطناع والزيف لكل شيء ومنهم بيتنا، والخروج عنهم يعني العار، لأني سأضُر بسمعتهم، فلم تكن سوى أمي من تهتم أني سأدخل النار، أما الباقي من عائلتي كان يهتم بمصلحته الشخصية وسمعة العائلة، وهذا ما كبتني فكريًّا، وجعلني أغلق على نفسي الوحدة، وأفعل كل ما يرفضوه في السر، حتى انفجرت تماما، ولم أعد قادرًا على الاختباء والتبطين، فلوهلة شعرت أن هذه الأفكار والمشاعر والكلمات التي أحملها هي أكثر قدسية من أعرافهم وتقاليدهم ومن أي رابطة بيني وبينهم، وأني إلى متى سأخبئ الحقيقة، وأطوق داخلي بزيف وقضبان واهية فروحي مترعة بالنور الخائف.

أقلع عن الكتابة هذه السنة كلها، وفعل به ذلك الكثير، ولكنه أقلع عنها لأنه بدأ يشعر أنها لا تجدي، وبدأت تقيده وتسجنه أيضا، وهو يكره العبودية لأي شيء، كفى عبودية الوجود والأبعاد والحدود، كفى عبودية الحقائق من الموت للفقد.. إلخ، لجبرية الفيزيائية الجسدية وجبرية المادة التي تسيطر على كل شيء، كفى ذاته المشغوفة بأفكارها التي هي سجن آخر، فالشيء الوحيد الذي لا يعد نسبيا مسجونا هو العشوائية، لا يمكن للقضبان أن تستولي على إرادتها. وغاب".

- أين أنت ذاهب؟

- إلى ذاتي المسعورة.

- لِمَ؟

- لأجد رفيقا.

- خافت انسجامك وخافت انفصالك، تعال، اعتز بعرشي

- مَن أنت؟

- أنا صورة أخرى لك ولباطنك، أنا حي بدونك، حي للأزل وأنت باق لأزلي ومتى أريد.

- أنت جزء منيّ، خيال من دواري، تائه بلا قصيد، لا تقصدني أنا.

استيقظت.

زهدت فيما كانت نفسي تتوق إليه من سماوات وأراض رحيمة، والآن أعود بعد هذه الرهبنة اللانهائية، إلى صحن النهائية/ الواقع، غير مكترث بأي شيء، سوى بأمي التي تشبه وطنا لكل أبنائها إلا لي. أمه امرأة متدينة جدًّا وملتزمة، تتهادى من وجهها العذرية، ويجيش فيها الحنان على مَن تتعامل معه، ولكنها محدودة وجدانيا على من حدد الدين وسمح بالحنان عليه، لا تترك القرآن من يديها، وتتحسر على أنه من صلبها، من صلب هذا الضوء المحدد والمحدود، أمَّا هو فابن عاق بالنسبة لها، وعقوقه يمتد إلى أي أحد، ولكنه من أثر ذلك يسري الألم في كسير النار في الورقة الهشة، لأنها تظن أنه بحر من القسوة بالنسبة لها.

كان أبوه متدينا جدًّا، شيخا كان، خادما لله، يتلو في المساجد ويخطب ويفتى في الناس، وكان طوال طفولته يسمع ما يقوله بدون أن يناقشه، ولكنه كان يفكر في كل حرف يقوله، وهذا ما أتاح له التعرف على اللُّغة من خلال كتب الدين المختلفة من التفاسير للفقه.. إلخ، تكون لديه قاموس لغوي واسع، ولم يكن ينوي الكتابة أبدا في أي

مرحلة سابقة في حياته، ولكن الجولان في الألم والحط في مرفأه والسقاية منه، وحمل غديره جعله يفر لها. الكتابة كانت مهمة جدًّا بالنسبة له كونه يرحِل ما في داخله لها، ولكنها كانت خطيرة في البداية لأنَّها بها كان يدرك داخله أكثر، ويدرك ما هو مكبوت، ويعلم شساعتي النفسية، وكوّن ذلك نرجسية اللغز، وهذا ما استنبطه مِن مَن يعرفه دوما.

يشعر بخوار يده مِن كل ما كانت تملكه من معانٍ وحزم، الكل مادة ولا مادة به إلى الرحيل، ولكنه يريد أن يواجههم، ففي مملكة السحيق الباطني بؤس رهيب، وألم يستحق منه معرفة أسبابه، ولِمَ هو عميق هكذا؟ بؤس الهروب والجحود مع غلبة للا اكتراث، بما سيحدث، ولكنه يريد أن يعرف لِمَ كل ذلك؟

يعلم أنَّهم من الممكن أن يقتلوه، إن هذا العالم العامي أعنف ما يكون، لأنَّه أجهل ما يكون، وإن لوح أحدهم بقتله سيقتلونه فعلا، ولا يعلم فأبوه شديد جدًّا، وعصبي للدين، وليست لديه أي رحمة أبدا، فقد عايش فتاويه للناس، وبما حكم -منذ زمن وأنا طفل- على أحدهم بالموت، لأنَّه خرج من الدين بنظره. في عودته موتي، وهو يعلم ذلك جيدا، ولكنه يريد رؤية أمه، يريد احتضانها، وأن يسيل دفؤها في عظمه البارد، أن يحتسي عيانها.

لقد بار عزم الوجدان وعقيدته الطفولية، وتفاوتت تأويلاته للعالم، ولكنها كلها قاسية عميقة قسوتها القطعية في نظرتي، منخولة من الحقيقة المعارضة لكل شيء. وعدها سابقا أن يرحل فجأة، وبدون وداع لها، لكي ينجح ولو كمحاولة في جعلها تكرهه، ولكنه قال لها إنه سيكون عند النيل في الفجر، يومها قبل العودة إلى موته في القرية.

ذهب ووجدها هناك وبدأت بالحديث: الذي في عينيك الآن يتجلى للبعيد ليس لي، إنه صامت لا يُثار ولا يستثار، هل نويت حذف كلك يا ظلامي؟

- إني أشعر بصفاء رهيب الآن، كون حياتي سيثأر منها العبث الأسطوري الخالد.

- ترتبت الصدف، ترتبت الإشارات والبشارات حولك، أنا أوفيلياك وأوفيليا النهر، سرعان ما أهيج الأمواج للرحلة الغامضة يا احتمالي، يا غائبي الدائم، ماذا في قلبك الآن؟

- تأرجحات وقلق السفر النهائي وفيض متميز لا تكراري للآن نفسه.

- ما الذي في مآقي عينيك الخالدة؟

- المعاني الأسطورية الرحالة.

- ماذا بين ضلوعك الممزقة؟

- ثمالة طاهرة من الرغبة في العالم ودخان متحرر أخيرا من الكمون.

علاقتهما كانت مضطربة جدًّا كعلاقته بنفسه، كونه كارها لأي رابطة بينه وبين أي أحد، وأحيانا كانت غواية عجيبة عالية بالنسبة له، ولكن في كل الأحوال لم يعرف هل يحبها أم لا، ولم يذكر لها أبدا أنه يحبها. هي امرأة زاهية في حشا عالم مادي، يريد جسدها فقط، وكان هو الشاعري المفتون أبدا لها، أحيانا كان يفكر لم هي تحبه بهذه الطريقة؟ ما الذي فيه يمكن أن يعجب أي أحد؟

هو عاجز تماما عن فعل أي شيء، في البداية كان عنيفا معها جدًّا وعدائيا، ولا يتحدث إلا شعرا، حتى تعودت هي على ذلك، وبدءوا يتحدثون شعرا مع أحاديث يومية قليلة جدًّا، هي تعرف أنه كافر بكل شيء حتى بنفسه وبالوجد. هو كافر عن علة وكعادته كجاحد وشاك، كان أحمقا، وسار إلى درب الموت بقدميه وخطواته كلها ولم يعرها أي اهتمام يذكر، لا يعلم ما في جوانية هذه الرأس الكبيرة من هراءات، ولكنه أعلم أن في يسار صدره توجس وخيفة من أي مشاعر تبادلية مع أي أحد.

- اخرج ولا تعد أبدا، اجعل الرفض والتمرد يحيوك، أنت زانٍ وتستحق الرجم حتى الموت، كل المحرمات فعلتها يا ابن بطني، لقد كرهتها لأنها أنجبتك، أنجبت شيطانا حقيرا يجهر بشيطانيته ولا يخفيها ويسترها حتى.

عندها هرب بألمه وهو مرصود من الجميع، وقال له أبوه "إن عدت سأصلبك، ما يمنعني عنك أمك فقط"، فقال في نفسه: "الصليب أدفأ من الهروب، ولكنه رحل، والآن يعود وفي جوفه سنة كاملة من التدمير الذاتي، لا يحمل أي شيء هذه الأيام، ولا يعرف ما السبب، مع قلق شديد بدون أن يعرف قلق من ماذا كقلق الزهرة ربما من قدوم الربيع، يمضي هادئا إلى أي مكان تجره قدماه إليه، ولا يتذوق أي شيء، مع عدم سيولة للمعاني، هل هي نشأة الطمث؟ يريد أن يكون بكامل قوته أمام أبيه، أمام علبة الفراغ الكثيرة الحديث بالعبث والعصبية له.

يهجره العالم بأشيائه وأناسه وكل شيء فيه، وهو يتمرد ويتمرد على ذاته أولا وبعد ذلك عليه، ويزداد خموله بشكل عميق جدًّا. طاقة الشطط هي طاقتي الوحيدة للبقاء، كلي باطل إلا من التمرد.

استيقظت الرسام اليوم بدون كوابيس ولكنه قلق جدًّا، يداه اليسرى توجعه جدًّا، لم يفكر في الانتحار بعد أن فتحت عيناه على غير العادة، ذهب مباشرة إلى المطبخ لكي يعد فنجانا من القهوة، وأعده ويداه ترتعشان على الكنكة، وإلى أن اقتربت القهوة من الغليان ذهب إلى مرسمه، كانت عيناه مضطربة قليلا، ويشعر أنها تحترق، في الصباح يدخن كثيرا جدًّا، ممكن ستة سجائر في ساعة، يضع الكرسي في الجزء المقابل للنافذة في الضوء، وربما يتعرى لكي يلثم الضوء جسده وربما لا، أحيانا يبدأ بالرسم مباشرة، يسمع أم كلثوم أو فيروز أو zbigniew preisner، في الصباح يكون صافيا جدًّا بدرجة مخيفة، ولا يستطيع تحريك لسانه إلا بعد ساعات من الاستيقاظ، مملكته الداخلية تكون لا زالت مخمورة واحتفالية وقنوعة بالبقاء، ولكن ما أن يبدأ وعيه في العمل ويعود إلى الأفكار الملازمة فيتشكل السواد بفطنة شيطانية، وتنسدل الأفكار النذلة العميقة الدقيقة التي لا تفل، وتستشيط الظلمة رغم عيان الضوء وعيان الموسيقى وعيان الفن، يُكره نفسه على إغلاق عيونيه، ويحاول تخييل أي شيء يكافح أخلاق ظلمته، ينرفزه أي صوت بشري في الصباح غير أم كلثوم وفيروز.

أغلق الموبايل ورأى نفسه في الشاشة، اليوم رأى نفسه في كل مرآة ممكنة لعله يحصل على وجهه في مخيلتي، لأنه فعلا لا يتذكر ملامح وجهه جيدا وربما يخلط بيني وبين أحدهم، ارتعشت يداه فظهر وجهي مهتزا، لم يتبينه جيدا..

ذهب للغرفة، نام على السرير وقام ونام وقام، هكذا طوال اليوم وأراد فجأة قبرا يحويه، جاءه هذا الشعور، أن ينام في مقبرة مفتوحة وسط الأشواك المنسية. لم أعد أقدر على الرسم، إنه خامل جدًّا، سيكتفي بالتفكير وخط الكلمات واللوحات في رأسه. غفى قليلا وبدأ يحلم ثانية بأحلام الشاعر الصوفي كمشهديات متتالية غريبة.

شجرة جذرها فوضى ألوان تتعارك، وكل غصن جسد وفي آخر الغصن الرأس. عين البؤبؤ بها نرد. صليب على كل طرف من طرفيه كفتين، الكفة الأولى عليها جناح أبيض والكفة الأخرى جناح أسود. فم يلف الوجود كله كدوامة لتدخل في فمه. دائرة من الدمى، كل دمية ملونة بلون مختلف عارية لذكور وإناث، وسطها إنسان يصرخ في وجه كل منها.

***

دائرة لصوفيين يلبسون رداءات بيضاء، ووسطهم أحدهم يلبس أسود، نفس الوسع للثياب الصوفي ويطوفون حوله.

***

أحد ما يمسك بالونة بيضاء في المقابر، في جنازة الجميع يمسك بالونات بيضاء.

أحدهم يقف في غرفة مغلقة على الحوائط فوتوغرافيا لانتحاره بأشكال كثيرة، وهو مشنوق، وهو يغرق... إلخ، وهو ينظر لهم.

***

أحدهم نائم منطوٍ على الأرض، والكاميرا تظهر ظهره ومكتوب عليه "خذ"، القلم بجواره في سوار كسوار البوليس.

***

رأس الآن بينها ثقبان بينهما درب، بهما كل شيء يكون الوجود.

***

حبر مدلوق مع ألوان وصلصال وساعة، كمواد خلق الله الموهوم للكون..

***

وطفل على قضيبه مسبحة ملفوفة، وصليب أماه عليه عاهرة.

***

وشكل لإله في داخلي مشدود من كل أطرافه بخيوط، ومن سرته تخرج دمى إلى الأعلى.

***

غربال أيضا به قرآن وإنجيل وعليهم دم وبينهم قصاصات شعرية ملونة..

***

بدأ يبكي عندما استيقظ بشكل رهيب وبالغ، لا يعرف لم؟ ولا يدري كيف يتوقف، وفكر في عبثية كل شيء. العبثية والعبثية فقط، كانت بداية الوجود، عندما تمذهبت الطاقة الهائلة للخلق وبدأت في خلق الصدفة المستمرة وتسميتها في سردها بالقدر، فالقدر عبارة عن فوضى متهورة تقاوم ذاتها وتوجد علاقات غريبة بين كل شيء، ولكن هذه الفوضى دائما في كينونتها شعرية تمنح الفرصة للوجود، فالصدفة هي تداخل علاقات غريبة بين أشياء وأشخاص لتنتج معنى معروف من الطرفين وأحيانا من طرف والآخر لا.

صدفة وجوده في هذه البيئة، وصدفة بيولوجيته، وصدفة اكتشافه لموهبته في الرسم... إلخ. القيد يجعل الفوضى لها معنى وأقصد بالفوضى نحن؛ أي إنَّ السجن هو ما يعطي معنى للحياة.

هل يمكن الحياة مع معرفة أن كل شيء عبثي وبلا جدوى وبلا قيمة وبلا معنى؟ لماذا عليَّ دائما أن أخلق كل شيء؟ أفعل الشيء وقبل أن أفعله أخلق معنى وقيمة وجدوى وهمية له، هذا يجعل كل شيء مباحًا، لماذا يفعل كل الناس ذلك بدون أن يعرفوا؟ خوفا من الانتحار، إن كنت مؤمنًا فعليًّا بأنك تحيا في اللا جدوى ستنتحر يوميا، ولكن المشكلة أن الجميع غير مؤمن بأي فكرة، واللا جدوى تدمر كل شيء ممكن أن أفعله، وكل شيء أريد أن أفعله، ربما لأني شاسع نفسيا، وهذا هو الحل الوحيد، أن أكون الجميع ولا أكون ذاتي، أن أخرج من ذاتي كثيرا، ولكن هذا تأجيل فقط، تأجيل وجداني للشعور باللا جدوى ولا أعرف هل شعرت باللا جدوى في البداية أم فكرت فيها،

بعض الأفكار ممكن أن نشعر بها حقيقية، ولكن ليس كل الأفكار، فالذهن يفتح مساحات في الوجدان والوجدان يفتح مساحات في الذهن، فمع الوقت تتقدم الجدوات والقيم والمعاني، يعنى نترك القيم والجدوات والمعاني الموجودة في مجتمعنا وواقعنا كالدين وغيره، ونبدأ في الدخول إلى جدوى الخلق والتأمل، ولكن بعد بعضا الوقت والتجريب والخلق الكثير نتأمل بهم، نتأمل في الخلق والتأمل فندمر هذه الجدوات، وبعد ذلك نذهب إلى التخييل وهذا التخييل يمتد أفقيا في كينونتنا، أن أكتب قصيدة بمشهدية مثلا، وحتى تنفيذ ما في مخيلتي واقعيا، لا أعرف لم يشعر الخالقون بالقيمة عند فعله، ما القيمة في رؤية ما في خيالك على شكل صورة لأنَّ الأمر بسيط جدًّا، أن أنفذ مجازا واحدا سواء في لوحة أو فيلم، سيكون الأمر قليل جدًّا بسبب ضيق الواقع، وسآخذ وقتا كثيرا في تنفيذه بسبب قوانين كل شيء، ولن أستطيع تنفيذ ما أريد كله، هذا فقط سيعطيه قيمة وجودية للآخر، لمن يشاهده أو يقرأه، لا يعطي قيمة وجودية لي أنا لأن مخيلتي بها مشهديات كثيرة لا توصف، ولا يعبر عنها، فالخلق يعني المزيد من التعب الوجودي، ولكن التعبير عن النفس بشتى طرقه لا يجلب سعادة لي أو أي شعور، لأن موقعه الخلق وجعله ماديا يحدد الخيال أو المجاز، ولكن النفس لا يمكن التعبير عنها إلا بالمجاز الشعري، وهذا يختلف من شخص لآخر، لأنَّ كل شيء هو شعر، الشعر يمتد في كل شيء، ويحوي كل شيء، كل شيء هو شعر، فممكن مثلا شاعر يكتب قصيدة تشرح بيتا خياليًّا معماريا حتى في العلم هناك مجازات، العلم

شعر قديم، فالشعر استخدام المخيلة ففي رحابه الخرافة تسبح بدون توقف، والتطرف المبين في كل الاتجاهات والما وراء يمشى ورائه، لا يدرى آنية له ولا زمنية.

كان يغيب والأفكار تنسدل في مشاهد فظيعة وكابوسية، ويسأل بإفراط هذا الشاعر في حلمه "مَن أنا؟ لغز مفرط؟ فراغ يخيل ملأ؟ فوضى مبالغة؟ صقل منفجر؟ محاولة.. محاولة.. محاولة.. لكل شيء؟

من أنا؟ لا هوية لأناي، كتلة سائرة في الزمن والمكان، مقذوفة في سرد العالم..

من أنا؟ لعبة التجسيد والتجريد بين أيادي الكون؟ من أنا؟ تجريد كل شيء أم تجسيد كل شيء؟ طيف فجة هشاشته؟ من أنا؟ طائر الغسق الذي لا يعرف الهواء؟ لاهوت أم ناسوت؟ فوضى تائهة في الضآلة الكاملة.

وبدأ يجيب هو بعد أن وجده يرطم رأسه فيما حوله:

"أنت الحفار المطلق لهاويات العالم، تعبدك الأفاعي السامة والعتمات البرية، لا تخاف من أي شيء ولا أحباء لك، ترضع الذئاب من نهدك ومنيك خالق الوجودات العظيمة".

فقال له الشاعر "إنه سر غريب من أنا؟ اضطرابي يجعلني وحيدا، يجعل حياتي جحيما، ولا أريد أن أحيا جحيمي مع أحد ماذا بعد يا خيال؟ ستسقط من أعلى الحياة إلى غورها، ولا تراجع عن النفي، عابرا كل شيء، بوشايات السقوط وروعه وفزعه الذي لا هوية له.

بدأ يعلي من صوته كأنه يخطب في فراغ:

أيها المستحَل من البلاد والمنافي المنتخب للشهادة للا نهايات، أولِم روحك وجسدك فلن تخرج من جسدك سوى في رأسك، أي لا أدرية التي تحياها؟ أي غياب مليك كلك؟"

فقال الرسام أنا مثلك "دمرت كل علاقاتي مع المعلوم والمعلومين وقويت علاقاتي مع المجهول والمجهولين".

فعاد للسؤال الجوهري للعالم من أنا؟

"من أنا؟ جثمانية ضائعة وطيف مجهول وهبوطية وجود وسُلمية عدم، وإشارة لسطل الشعر، وضغط طلل غسقي، وعبث غاطس مغموس في اللا، وفراغ مليء وواضح خلاسي وغامض مكشوف وأقصوي مطفي وإحياء ماهوي وتغليب الأول والأخير خارج اللُّغة حتى أنا تأويل مَن؟ أنا صورة مَن؟ أنا ظل مَن؟ أنا تخييل مَن؟ انطقي يا بداية. انتشاري مضغوط بالأبعاد. خروجي انتهى مني ما جنسيتك يا فيض؟

تعبت من اختلاس مصائر الصدف، الوجود دخيل على انعدامي، لم أنا مطرود من بواطن هذه الناس وأبنية العالم جميعها؟ لمن أمن اللا مرئي يزدلف لوحدتي؟ لم الجثمانية خوّانة والطيف مخلص؟ على من أنادي ليتولى فوضى العالم؟ ما العصيان إن لم يكن تشييعا لكل ما هو موجود؟ خذوني وذوبوني في الموت..

أنا إشارة مَن؟ لا لا، أنا تأشير المطويات من كل شيء، أنا علامة المعنى هنا.. أنا سرد مزمن الحدوث من كوني مقيدا لكوني مطلقا بلا قصف. أنا كون - كل إنسان في الحقيقة كون - خصبا في داخله، في تبر اللا مستحوَذ عليه من العالم. في تخييلاته. بعيدا عن كل المَوْعَى

به، قريبا من العرفان الخاص المستحقَر المختِلف، منبثقا منه، بارئًا ما لم يَر، بارئا معشوقيه المفقودين بقدرة الشعر، ومرتاحا في هذا الكون المحاكي اللا فيزيائي.

علي التعود على الحياة بدون أي جدوى، فربما لم يكن علي أن أعرف كل ما أعرفه، ربما لم يكن علي أن أعرف أي شيء، فالوعي يجرد كل شيء من قيمته الوهمية.

لقد تحدثوا أخيرا مع بعضهم، إنه يحيا فيه، لقد عرف وجهه سيرسم الآن، ويفكر كيف يصل له، ولكن كيف يصل؟ لا يهم الآن. المهم أن يرسمه، ما هذا العالم الملغز؟ الأحجية؟ كيف يفهمه؟ إنه معقد جدًّا وقوانينه أكثر تعقيدا من ذاته، وكل ما يمنحه من إشارات تدل على ملغزات أكثر. لا يستطيع أن يسعه. هذا العالم مكبوت من؟ لا وعي من؟ هو شخص من؟ أين داخله وأين خارجه؟ من أضاء الشمعة ومن أطفأها؟ يشعر أنه يجب ألا يضِل عن مكبوتة، لأنه خالق نوازع شغفه ومخضِر الهنا القادم، لا يجب أن يضِل أنه أينه/ الطاقة المعبودة من إرادته.

كان يظن أنه تعرى بلا نهائية، وبلا حد، وأنه لم يعد لديه مكبوت، ولكن هل يوجد إنسان لا يوجد لديه مكبوت ما مهما تحرر؟

يتطوح سكرانا بين رؤى مجهولة العلة والهدف، مجاهرا بكل أسراره، وقاذفا إياها في صحون الأفق، بعد بطلان كل محلات روحه، ومجاوزته لشح الواقعي بالكفر بذاته. بعد أن كان يظن أنه لا كرامة سوى للألم، أنه ما يجرد كل شيء ويطرد الأسطح بقشورها، ويستطلع

ما لا يراد وما يخفى... لا كرامة سوى لوحدة في العالم، فمن كيميائها ترك الأبعاد والحدود أصبح لا كرامة أيضا للغز الكون.

لديه نفس تحتوي كل شيء في الوجود، ولا يستطيع الوصول لأي شيء بها، ولا معرفة أي شيء بها، ولا معرفة حدودها، ولا توقع أي شيء منها، لأن المنطق وسيلة تافهة للإدراك، فالعالم فقط يحاول بشتى الطرق وضع قوانين في خضم الفوضى، كيف تتحرك، حتى في اللُّغة كيف أطلقوا على المجهول الهائل الروح، وهم لا يعرفون أي شيء عنها، كيف يطلقون اللفظ بدون معرفة المعنى والتعريف كاسد كله، كيف يعرفون بالشعور فقط، لا يوجد تعريف لأي شعور في كينونته الحقيقة، لا شيء معرف على الإطلاق بدأ يتيه أكثر.

هل لأنه مهتم بما داخله أكثر مما هو مهتم بما خارجه؟ هل لأن الوجود كله به والعدم كله والمشاعر كلها.. إلخ؟ لأنَّه يستطيع استحضار أي شيء يريده بالتأمل، فالتأمل يقوده إلى جوهر الأشياء والناس، ولكن اللا جدوى تلتهم الجوهر، ثم مزيد من التأمل الذي تضمنه العزلة والعزلة بدورها تثبت التطرف والجنون، والتطرف يثبت الحلم اليائس ويأتي من مُطْلَقيّةٍ مُسْتَنْزَفَةٍ في شعور معين أو فكرة معينة وعدم تصديق عِليه ما يفعله، وعدم وجود أحجبة على الأفكار والمشاعر وعدم وجود رغبات حقيقية إلا الرغبة في التلاشي والفناء وحضور ذلك والاقتصار على أبدية الداخل المدمر والضجر ما خُلق عليه من بيولوجيا... إلخ، ومن عدم وجود أي شيء في أعماق أي شيء، وعدم الاكتفاء بالشعور السطحي التافه، بل التوغل في كينونته والهجرة المستمرة عن الحب

وعدم الرغبة في دخوله إليه أو دخوله إليه والرغبة في تدمير، ما تبقى من رماد نفسه، أي تدمير المدمَر أكثر والشعور وحيدا بمشاعر متقدمة، لا يعرف أحدٌ عنها أي شيء. والجنون هذا الذي يغازله وينفي القواعد والمنطق ويوصله إلى الأماكن البدائية له، ويثبت مشهدية السريالية واللا علية، ويفتح آفاقا رحبة تتعالى على الحدود النائمة في كل شيء؟

كانت المشاعر والأفكار تلقى إليه بشكل رهيب وبدون سيطرة منه أبدا، ولا يعرف لماذا، ربما بسبب هذا التفاعل اللا منتهي بين الوجود كله بداخله، والأمر في العلاقات الجديدة بين الأشياء المختلفة، فكل ما يدخل إليَّ يتفاعل مع ما بداخله، والغريب أنَّه لا ينتهي من الداخل، كأنه هاوية تتسع كلما دخل إليها شيء أو أحدٌ، وأيضا كان يلحظ أمكنة به لا يملئها أي شيء، ولكنها موجودة مشرئبة إلى أي شيء، كان سعيدا بابتعاده عن كل شيء وكل أحد، ليس به غيره والأفكار والمجردات واللا معاني.. إلخ.

الشاعر الصوفي كان في مكان آخر، لا يعلم أين هو، وبدأ يحلم بأحلام الرسام الملحد؛ إذ كان الرسام يجلس في منطقة نائية تماما، بدون أي طعام أو شراب، ولكن لم يكن يفكر سوى في الرسم والكتابة، كان معه القلم والورقة فقط وفي الحقيقة أنه طوال الوقت معه قلم وورقة، ليس معه أحد في داخله سوى اللُّغة والألوان، لا يوجد أحد يحيا في رأسه الكبيرة، وذلك كان يجعله يحلم بإمكان ليس بأشخاص، أماكن غريبة من كثرة التجريد الفني في اللا وعي والمخيلة، ولكن هذه المرة وهو جالس بدأ جسده في الانتفاخ، وتوقف السراب عن الوجود، داخله الذي يتسع بشكل رهيب ويتخلق به أشياء جديدة، لا يعرف هل

كان يحمل تلك المرأة في داخله طيلة حيواته السابقة كلها أم أنها ابتداع شعور أو فكرة، أظن أن كل من في الوجود وكل ما في الوجود في مخيلة شيء أو شخص أو قوة ما، وهكذا إلى أن ينتهي كل شيء إلى نقطة هي الموجودة حقيقية فقط، ولكنّه يعطي قيمة وجودية لكل شيء حتى الخيالي يعطيه قيمة وجودية مساوية أو أكبر لما يطلق عليه موجودا، والأمر هنا أن الخيال اختيار إلى حد ما، وأقول إلى حد ما لأنه من الموجود كله الذي راه وجربت وفكره وشعره.. إلخ، فالمخيلة تابعة الوجود للجسد والوجدان وقبل المخيلة الذهن.

المرأة تتجلى أمامه جالسة، والمكان كله مركب جدًّا ولكنه جالس هادئ، نوافذ تفتح وتغلق في الأفق وآلهة تظهر وتندثر وأوراق تبعثرها الرياح ودم يملأ المكان كله وبعدها ماء ملون بألوان غريبة، لم يرها من قبل وقوس قزح يمشي أمامه والسراب يقترب من وجهه وهو لا يتحرك، لا يعلم هل كل هذا يحدث في رأسي أم في الوجود؟ يشعر بحرارة رهيبة تخرج من جسده وأعضائه مفككة، ولكن لا يرى بعيونه فقط، هو كل شيء الآن، يعي كأنه كل شيء ويدرك كأنه كل شيء.

بدأت بالحديث معه ولكن فمها مغلق، لا أعرف كيف تتحدث وهو مغلق:

- بماذا تشعر الآن؟

- الضيق الشديد ولا أعرف ماذا أفعل به.

- تبا للضيق، تمشّي قليلا، وتنفّس بعمق، وتخيل يدك مشتبكة بيدي المطلق أو يداي، ويدي الثانية على خاصرتك..

- أحتمل الحزن ولكن الضيق لا، الداخل ضيق جدًّا يا... بماذا أناديك؟

- المسميات تافهة، اخترعوها كقانون لتمشية الوجود، ممكن تسميني أي شيء.

- سأسميك حنة.

- حتى الله لم يحتمل الضيق، لهذا خلقنا.

- فقط تتزاحم كل العظائم النفسية وكل الآلام الروحية، وكل من خذلتهم، وكل من دمرتهم، لا أقترب أو أتقرب أبدا من نفسي، فعلت أشياء فظيعة لا يمكن أن تتخيليها أبدا، ولا أشعر بذنب لذلك، ولم أشعر بأي ذنب طوال حياتي بسبب هذه النرجسية المخيفة وتتفيه كل شيء في أي شيء، لا يوجد أي مرفأ لي ولا أبحث عنه ولا أقدره، سأظل هكذا تائهة في ذاتي وتائهة في اللُّغة وتائهة في الشوارع الضائعة في الآخرين، لم أصل إلى ذاتي أبدًا، ولا مرة، حتى هذه الياء في ذاتي، لا أنتمي لها، لا أملك أي شيء ولا أسعى لامتلاك أي شيء أو أي أحد، هذا الزهد في نفسي، وفي كل شيء، حتى لست الله، وليس لدي هذه الرغبة في الخلق، خرجت من كل الحدود النفسية والميتافيزيقية والأبستمولوجية والأنطولوجية والأنثروبولوجية وخرجت من ذاتي المقيدة، وحللت في كل شيء حتى ضيعت كل شيء، وكل من حللت به، أنا الآن بلا أي شيء، ولا أي أحد، ولدي رغبة في أن أجرح نفسي بموس صدئ، وسأفعل ذلك بعد قليل، أريد تدمير أي شيء وأريد قتلك الآن، أن أحرق كل ما كتبت، أحتقر كل شيء فعلا، كل شيء، لا

أحمل قيمة لأي شيء، طوال حياتي منذ الطفولة، كنت أصلي وأشتم الله في الصلاة، هذه كانت صلاتي.

- لا شيء يستحق أن يكون له قيمة، أنت تحتقر الأشياء لأنَّها تستحق، حتى الله جاء بنا بدون اختيارنا أو أذننا حتى، هذا حقك في النهاية.

- هذا الجمال في كل شيء يغيظني، أريد التخطي الدائم واللامحدود لأي شيء، لم أنا في كل هذا ولم أنا عليَّ كل هذا؟

- أنت تسير في اللا زمان واللا مكان ولا تنتمي لأي منهما.

- أسأل نفسي كثيرا عندما أحل بهم وأتخيلهم وأكتب رواية عنهم، ولكن هذا يعتبره الجميع جنونا تاما وغير محدود بأي رادع، لم أعد أخاف من أي شيء، ولكني أريد أن أخاف، لم أعد أشعر بأي شيء، فعندما تلغي الحب والخوف لا يتبقى أي مشاعر والأمر يتطور في تجدد الانفتاح علنا أمام كل أفكاري على المطلق.

- أدرك شعورك بكل هذا التبلد والفتور المميت، وأدرك أنه يحطم كل شيء في عينيك، المطلق رهيب وشاسع ولا يحده أي مدى، يجن من ينفتح عليه وعلى أفقه.

- والانغلاق عن الوجود كله واختفاء أي فهم أو تحديد أو تعريف لأي شيء والاصطدام بالتصاوير الغريبة، بي ضد معي، ومني ضد معي، ومن ضد ماذا، الآنية تنتفي بي والزمنية، لديَّ كفاية من الفراغ، وتلامس مع المستحيل الكامن بي، أحمل الوجود كله في روحي والعدم الذي يتخلق وينتشر، لا أتحدث عن العدم كما الجميع وضعت تعريفا له وللمطلق واللانهائي، لدي هذه القدرة على التأمل الرهيب والانفصال عن الكينونة

وأي ناموس ممكن، وشوك ألوهيتي أصبح مقرفًا، استنتاج الجوهر وإعدامه فورا من كل شيء، لا يمكن أن أحتمل كل هذا بأبعاد هذا الوجود، سأجن.

- أدرك ذلك تماما وأفهمه، أن تنفصل تماما، أكثر من عزلة وأكثر من بعد وشخوصك تفوق عدد الإلهة، وتنتشر في كل شيء ثم تنبذه، روحك لا تستقر، وهي ليست في بدنك.

- العزلة لم تعد تأويني، حتى العزلة كسرتها.

- ولا أي مكان آخر، كسرتها حين ظننت أنك تنتمي لها، أنت لا تنتمي ولا تريد أن تنتمي.

- هشمت كل شيء بي وبالوجود، أنا فقط معي

- أراك تتمشى في فلك الوجه الآخر للقمر وأنت شاحب وبدون أي تفاصيل أو شيء.

- الوجود لقيط بي، أنا صدفة كل شيء وصدفة وجودي، حتى هذا تعاليت عليه، أصبحت أجرد بطريقة رهيبة، لم ألحظها في أي أحد، اللوحات التجريدية ترتسم في مخيلتي، ولا أريد أن أرسمها، لأنها ستأخذ وقتا، تكون جاءت لوحات أخرى إليَّ، سيأتيني انفجار في خلايا المخ قريبا.

- هذه التصاوير ترهقك، لا يحتملها دماغ إنسان، أدرك كيف أنها تتولد لا شعوريا في لا وعيك وتطفو في مخيلتك بقوة.

- لا أستطيع التحدث حتى، جردت اللُّغة تماما.

- لو كان لدي أي أمل لأعطيتك إياه كله إلى الأبد.

- جسدي يتعرق جدًّا، أشل في هذه اللحظات تماما.

- أفديهم أنا بكل شيء.

- رأسي دائخ جدًّا والهلوسات بدأت، وإن نمت ستأتي كوابيس رهيبة، الصراخ يتصاعد في أذني، صراخ غير مفهوم، يقل "اقترب مني، لا تخف"....

- أصوات المطلق وأنين الإله، نداءات الموت، أنا خائفة عليك منها.

- أيادي حمراء تأتي إليَّ الآن، وصورتي على الأرض ويداي تمتد لي، أشعر بدموع ساخنة تلقى في عيوني، هناك نور يخرج من فمي ودم، لا أعرف هل هو حقيقي أم لا، ولا أستطيع تحريك لساني، شيء يتحرك تحت إبطي.

- تتقيأ المستحيل

- أشعر بخروج روحي الآن، والله يرفض أن يستقبلها، أنا في الأعلى بدون أقدام، أرى كل شيء، هناك شيء غليظ في رأسي يمنعني النوم، أنا وحيد جدًّا ومجنون، أرى ما يحدث لي مستقبلا، دائما المصح النفسي، أخفى ذلك لكن محال، هو ما سيحدث.

- كلهم سفهاء ولا يدركون أي شيء، أي شيء، عاجزون حتى عن أن يروا حتى شيء من داخلهم، ينبذونك لأنك انفتحت ورأيت ما لم يروا ويخافونك، المصح النفسي بيت الحقيقة، أنا معك هنا وهناك وحيث تريد، أعطني كل شيء، الهلوسات، الشياطين والظلمة والكوابيس ونام فقط، لا تفكر في أي شيء أو أي أحد.

- لا أفكر في أي شيء أو أي أحد، لحظة التجلي هذه لا تقاوم، أه كم أنا بك يا إلهي، في روحك، الخفيفة المقيدة.

- هذه مرآة كل شيء.

- صوت بومة شديد أسمعه.

- أحبها جدًّا وتحبك هي، تحب المعذبين والمتطرفين والسائرين في مجاز منعزل، قل لي بماذا تشعر؟

- بالشعور نفسه، الشعور في حد ذاته، أدرك التجريدي بشكل فظيع، لا أعرف كيف أصف، أدرك المكان ذاته، كأنّي هو، الزمن ذاته، كأني هو، اللابداية أراها، أرى أحدا أمامي مصلوبًا على الحائط.

- ألوهة مزمنة

- أنا تحت ماء دموعي الآن، تملأ المكان وتصل إلى وجهي وتغمره، أنا تحت الماء الآن ولكنها تشبه الشرائح البيضاء، أكتب عليها، لا أعرف أين أنا.

- آه، لهذا التيه أين يوصلك، الأزمة الوجودية بكل أبعادها، الضياع الزماني والمكاني والانفصال عن الذات وعن كل شيء، أفدي دمعك وضياع وجعك.

- أنا المسيّج في باطنك، إنْ مللت منك سأرميك داخلي لأعرفك على جدراني والكلمات التي داخلي.

- وأنت الحر داخلي ولكن لِمَ؟

- لا تسألي عن العلية وأنت متكدسة بالعبث والفراغ، سننتحر معا في التخوم يوما ما، ولكني متمنع عن كل شيء، وليس لديَّ رغبة في أي

أحد أو أي شيء ولا حتى أنت، سآخذ قبلة منك قبل أن أنتحر وأحفظها في ذاكرتي، لكي أحيا عليها في باقي حيواتي، لك شسوع نفسي بي، ولادتك الميتة منى المكتظة بالعبث.

– الخيال هذا أكرهه ولكني أحتاجه وأتماهى معك وأتفهمه.

– الخيالي به لحظات حقيقية، وهي صدفة الاختيار بين المحدودات، أنت صدفة وجودك، وصدفة وجودي، وصدفة لا وجودك، وصدفة لا وجودي، الصدفة احتدام واحتكام ما لا نعرف.

– ولكني أحيانا لا أشعر بها، إن تأملت في كل شيء هكذا، سأفنى كل شيء وأهين الشعور الذي أكنه ناحية كل شيء.

– تذكري أنت لست لأحد، ولا حتى لنفسك، ولا حتى لأي فكرة أو أي دين أو أي إله ولا تكوني لأحد، أنت فعل خيالي أنتقده في وجودي، تاريخية للعبث اللا منتمي لأي إيمان.

– أنا خليط من الوجودي والخيالي ولا يمكن أن أعرف نفسي، لأن الفراغ والعبث يضيع الحدود، ممكن أكون أنا بين اللا بداية واللا نهاية، أبعادك أنت تنكر نفسها طوال الوقت، أنت في سؤالي ولست في إجابتي، الخيالي من الممكن أن يحقق وجود لأننا كلنا في مخيلة التكوين.

– أنتِ البعيدة في إذلال الذهن والغريبة في عنصرية الوجدان، كأنك بيت في الموت.

– أنا متطرف في كل شيء ولا أستطيع ألَّا أكون غير ذلك، إثارة الظلام بي، فهذا ما أفعله وإثارة الشر، الشر يجعلني أملك جزءا من ذاتي، فالمسافة بيني وبين ذاتي تتلاشى في الشر، أكون أنا التكوين.

- الهروب من الأشياء والأفكار والداخل... إلخ، وصول إلى شيء آخر أعمق.

- أريد أن أكتب بشدة لا تلامس مع المطلق، فلحظة الكتابة هي لحظة وجودي في مخيلتي.

- أحد ما ينادى ويمسك يدي، يقول سأوصلك إلى المنزل، ملوحة رهيبة في فمي.

- أنت تحل في كل شيء حتى الشساعة ذاتها، لا يحتمل ذلك، خلقك الله ليتقاسم ألمه معك، اللعنةُ على كل شيء وكل الأشخاص وكل الأمكنة والأزمنة، اللعنة على الكون بأسره إلى الأبد.

- ترتيب الاستهداء في مشهدية الإلهي بدون شرح من الذات المئوِّلة المسئولة عن الفوقية، كتابة جزء من منازل الروح في اللُّغة التي لا تدرك التعدد اللا مقدر لي.

وتوقف عن الحديث لأنَّه أصبح يقول كلاما غير مفهوم لها، ولكنه داخله يتخلق مرارا، وبدون رادع ولكنه بلا جدوى، لا يستطيع إيقافه أبدا، ولا يعرف كيف يأتي وكيف يذهب، الكلمات منعزلة تماما عنه، تشبه الضفاف المسجونة في الضباب أو أنسجة الصمت المركب، ولكنها تتجسد مع كل جملة، تتجسد أمامه صورة مع صوت وليس صوت قراءتها، بل موسيقى تائهة في أذنه، الحياة داخله مليئة بالجسور إلى كل شيء، يشعر بها تبرق وتختفي فيه، كيف يحوى نفسه ويراها في ذات الوقت، كما تضم السماء الغسق وهي لا تعرفه، الأمر في الخيال والحلم أننا نكون العين فعليا، ليس فقط الشعور، يعني في الحلم وهو موجود فيه، لا يرى ما

يراه بعيونه الحقيقية في الحلم، بل يرى كل شيء يحدث بعين خارجية غير عيونه في جسده، وفي الحلم والمخيلة ينعدم الزمن، ويتقافز المجاز من عليته التي هي غير معروفة، ويبدأ في اكتشاف الأسئلة الغريبة النائمة على سرير ذهنه المليء بمشاعل تُولد باستمرار، وجميعها متقدة، وربما هذه المشكلة، أن جميعها متقدة وتتصارع بين بعضها، هو يراها ويلتهم إنتاجها بدون أن يخمدها، ولا ينبذ أي إنتاج لها أبدا، بل يحتضنه، ويجعله يتخمر تماما فيه، ويتحول إلى دروب متحررة من كل شيء، لا بداية لها ولا نهاية لها، فكل الدروب المعروفة معروفة بدايتها ونهايتها.

كان هذا الحلم يتكرر بنفس الطريقة كثيرا مع الرسام، لا يعرف لِمَ، ولا من هذه المرأة. ولكنه تخلص منه منذ مدة فلم يعد يراه. هو الآن مهموم بهذا الرجل في لا وعيه؛ بدأ يرسمه وبدأ معه الحلم في العودة للسرد أمامه. أنهاه وظل ينظر طويلا لملامحه، وجهه ليس به صوفية البدء أو النهاية، قاسٍ كخريف على ورقة شجر بدون شرح لشره، كأن وجهه حقيبة متطورة بها شياطين الرموز، تحمله في شره وعيونه نعيم لدلالة النفس، ذهنية بدون أبعاد ميتافيزيقية، ليست مكثفة بأي زمن بل هي تعارضات مع كل شيء إرثي.

ملامحه حادة جدًّا، والعلاقات بين أعضاء وجهه سريالية، كان وجهه موءود من مقامات تكوينه، على شفتيه دماء من فض بكارتهم. تذكر صديق يعمل في الأمن الوطني، سيحدثه ويخبره ويعطيه اللوحة، ويختلق له أي قصة للحصول على اسمه، ونام وهو في المرسم على صورته وهو ينظر إلى اللوحة.

كان الصوفي على القهوة، أخذه صاحبها للداخل لينام، فاستيقظ بلا استيقاظ، وغاب ثانية وحلم بالموت، فقد كان يأتي له يقول تعال، سأعطيك حيوة أخرى، فيقول له "الموت فعل فردي، لحظة انتقال بين حيوة وحيوة، ولكني أريد أن أعرف المسافة التي انفصل فيها أين أكون؟ أنا أريد أن أمد الموت أُفقيًّا وعموديا لأحيا الموت فعليا، فدائما كنت أحاول الانتحار ولأسباب مختلفة، فليس دائما بسبب افتقاد المعنى والجدوى والقيمة، أحيانا بسبب العبث، أنا حي الآن، لماذا لا أموت بعد الآن بلحظة، الأمر تافه جدًّا، لماذا أحافظ على وجودي وهو يريد أن يفنى بكل الطرق الممكنة، فقد مارست كل أنواع الانتحار، الانتحار الذهني بعدم الإيمان بأي فكرة والانتحار الروحي بنفي المطلق، والانتحار الوجداني بنفي الحب، والانتحار الخيالي بنفي الواقع تماما، وانتحار الوجود بي، وظهور العدم الذي يتخلق كل لحظة تأمل، فأحيانا لا أشعر باللا جدوى لحظة الخلق والتأمل، ولكني دمرت هذا كما دمرت كل شيء، دمرت جدوى الخلق ودمرت إرادة الخلق لأني دائما بي حاجة رهيبة وطاقة للنفي، لأني أظن أنه الطريقة الأنسب وإن لم يكن، لم أدحض كل شيء، وأنا أقف في الحياد تماما بين النفي والإثبات، ولكني بكل كينونتي أذهب للنفي لأنَّه أَقرب إلى الشعورية والعقلية والخيالية، وعندما أحاول الانتحار، أسمع المطلق في روحي يصرخ، ولكنه لا يصرخ ليمنعني، فهل أُوْلِمُك أيها المطلق؟ وهكذا في عقلي وجسدي ومخيلتي، أشياء تصرخ بأصوات غير مفهومة."

المجهول هذا في آخر الوجود، باب يفتح أمامه، غرفة مظلمة، أول شيء عندما يدخله هو أن يتأكد من وجوده به، وهل هو آنيّة؟ وهل هو آنيّة أم لا؟ يكون هناك معلوم وواسع جدًّا وبه شهوة له، ولكن المجهول يشبه غواية الشعر، عندما تغمض عيونك، والمكان مظلم؛ تدخل إلى اللا نهائي، عندما تغمض عيونك، والمكان منار تدخل إلى النهائي.

حلوله باللّه أو أيًّا كان يسمى (المجهول، الطاقة، المطلق... إلخ)، هو انتصار على المكانية والمسافة بينهما، لأنَّه هكذا يكون كل شيء فلا يوجد مسافة بينه وبين أي شيء، هذا هو الحلول الحق، في هذه اللحظة تتناهى كل السلطات والقيود على وعليه.. ذاته منعدمة لأنَّه أكون كل شيء منذ الصغر، هو كل شيء فعلا، لا يرى شيئا في المدى، الرؤية سطحية، ولكن التواصل هذا يجعله يُجبر على أدلجة ما يشعره، يكنزه في اللُّغة.

لم يعد يثار جنسيًّا إلا قليلا؛ فعندما يزدادا التخييل والتأمل لا يشعر بجسده ولا الرغبة الجنسية، الجسد يهين الروح لأنَّه يستر شساعتها ولا محدوديتها، والروح بالنسبة له هي المجهول الذي لا يمكن أن يتجسد في مادة ولا يمكن أن نعيها بوعي أساسه بعض الخلايا البيولوجية، الروح تعطينا جزءًا منها لكي نعي بعض من كنهها، لا تسمح بطريقة أُخرى، لأنَّها محجوبة ومنطوية، محجوبة مما لا تعرف، يشعر كأنَّه شيء عادي، ولكنه يتحكم في نفسه جدًّا، ينفصل عن جسده تماما، فجسده لا يوجد في التأمل، هو وأشياءه، يعني لا يشعر، وهو يتأمل به، ولا يفكر حتى، يكون فقاعة هكذا فعلا، ويشعر أنَّه دائري وأشياء تطوف

في دائرة، لا يعرف ما هي، التأمل من رحم التخييل، وهو لا يتحكم في الخيال مثل الحلم ولكن اللاوعي مثلا، الوجود والعدم والأبعاد الأخرى وذاكراته في الحيوات السابقة، هم لا وعيي التخييل والتأمل، يعني أحيانا يكون شجرة في غابة فقط واقفة، تشاهد حيواتنات، تذهب وتجيء، فعلا يكون كذلك، ويكون أشياء كثيرة، ويشعر عندها على حسب ما يكون، أنَّه يكون بوعي أم لا، وأحيانا الوعي مرئي أو صوتي، أحيانا آلة موسيقية، عندما يكون شجرة، ويأخذ منها قطعة أصبحت آلة موسيقية وجزء منه عمل منضدة... إلخ، يشعر أنَّه هم، في الأمكنة التي يكونوا بها، لا يعرف كيف لم أجن، ينزل من قضيبه مني الآن بدون إثارة أو شيء، لا يعرف لِمَ؟ قضيبه ليس منتصبا حتى، أحيانا يكون في برميل من المني ولا أعرف مني مَن؟

يداه الآن تكبر وتطول وتنزل على جدران البيوت، وتسحبه إلى أن يكون رأسه للأسفل، ويداه غير ملتصقة بجسده تركته، وغير معلقة في الهواء بشيء، وظهر كائن غريب بشكل مختلف أمامه، وجرى فجريت وراءه حتى وصلنا إلى بحر، لم يكن من الماء في هذا الوقت، بل كان قماشًا باليًا، ونظرت على امتداد البحر، ملائكة وشياطين متجاورة يملئون كل شيء وينادون إليه، ويمدون أياديهم وهو لا أعرف السباحة، حتى دخل خلفهم، حتى لم أشعر بالأرض تحته، فاختفوا كلهم وبدأ في الغرق.

شعر يخرج من رقبته، شعر أخضر والأشجار تمتد به، تدخل جسده ويرى نفسه مشنوقا على الجدار المقابل، وهو مرسوم عليه

آيات قرآنية، خصيته وقضيبه تركوا جسده، نزلوا هكذا، شعور رهيب وحقيقي، ليس خائفا من أي شيء.

يأتيه أنه سيذهب لمخيلته بعد الموت، يعني الما وراء بالنسبة له، هو الوجود في مخيلته، بدون أي أبعاد، ممكن هذا يحدث في مصح، وتساءل كيف يحب أحدا وهو بهذه الطريقة، كيف يربط أحدا به، وهو خارج الوجود. هناك فراغ بين العمارتين، يراه فيه، وجهه عظيم وبه رماح في كل مكان، مغروسة فيه.

روحه خارجه الآن، عند خروجها كل مرة، يحدث صوت رهيب به وهي تخرج، وتتحرك رأسه حركات لا إرادية وجسده كله، وأحيانا يحس أنه خلايا وإلكترونات تتقافز هكذا فقط، حلم مرة أنه في خرابة وانفصلت روحه عن جسده، كانت مخاطا بلا شكل هندسي، ولكنها لا تدلق على الأرض، جسده بقى في الخرابة والروح ألقيت من كائن أسود خارجها، وكان وعيه مع روحه ليس مع جسده، وظل يدب عليها بمطرقة عظيمة، ولكنه لم يكن يشعر بشيء حينها، وكان يتعرق جدًّا ولا سبيل إلى تدمير الروح، بقي وقت طويل جدًّا يدب حتى آمن أنه لا سبيل إلى تدميرها وجلس يبكي على صخرة بجواره.

عندما تخرج روحه من جسده لن يكون هناك قيامة، القيامة هي الولادة، وسمع صوته يقول "كيف أعرفك يا أبد، وأنت سجن روحي، وكيف أعرفك يا عُمْرُ وأنت سجن جسدي، أنا مسجون في الزمن، في انسلاخه من نفسه، هو بُعْدٌ لجسدي، ليس لي، الأبعاد سجون حرة..

لا أعرف كيف يسيطر على ذاته ويعود ثانية، مجازاته الغريبة في الشعر الذي يكتبه كلها تحدث، هو منقسم الآن، يجري في كل الشوارع، في كل شوارع الكون، يسمع مجموع صوت حفيف الهواء في جسده، صوت يقول له "شخوصك ستبقى بينما أنت ستفنى لأنَّ بك الله كما لم يكن في ذاته". لا يعرف ما سبب تكون كل ذلك، تأمل في ذلك كثيرا، ولكن لا أمل في المعرفة.

استيقظ الشاعر ثانية وشعر أنه فقد وعيه إلا جزءًا بسيطا جدًّا، يحدثه الله أو المجهول به، يدخل في كون من البياض، وهناك نور يضم جسده، كل سم منه، ولا يوجد أشخاص، ويبدأ النور في الحديث ويقول "سأمنحك تكويني"، فيقول له:

"لا أريد أن أكون ولا أن أكون أن أكون"

قال "لن أفنيك أبدا"

قال "أريد أن أفنى"

قال "ولكن سأعطيك كل شيء، ولكن لن أمنحك القدرة على قتلي، وسأمنحك ذاكرة لتخزن ما أقوله لك".

وبدأ في قول حروف مبهمة "أتته، ععله.. إلخ"، مثل حروف القرآن.

سألته: "ما هي؟ أريد أن أرى وجهك".

قال "لا وجه لي"، ولكنه أزاح النور وتحول هو أيضا إلى نور، وجد هوة سوداء رهيبة جدًّا رهيبة جدًّا، قال:

”من هنا بدأت اللا بداية المبدعة ومن هنا بدأت اللا نهاية“

كانت هذه النوبات تأتي له كثيرا، وهو مستيقظ لذلك كان ينتظرها النوبة كل يوم، جسده يتخشب كليا ولكنه في النهاية قال: سآخذك المرة القادمة للهوة.

النور مرة في النوبة بكى دما، ولكن لم يكن له عيون، يقول ”لا أحتمل أني لقيط ولا أعرف أبا أو أما لي، ولا أحتمل ما يحدث بي“. فضاء واسع جدًّا، وكله حوائطه الأربعة حمراء وداخلهم أناس منطوية، يعني أربعة حوائط وأربعة حوائط.. إلى ما لا نهاية، والحوائط ليست ملتصقة ولا على الأرض، مرتفعة قليلا، رأسي غير موجودة الآن، كأنها إناء به دم، تستحم فيه كائنات غريبة ويرمون كلماتهم في حوض ماء فتنطفئ.

في الخيالات لا يشعر بثقل عليه، لكن كينونته مختلفة، لا يشعر بالألم، يعني الناموس الإنساني وصفاته ومتعلقاته لا تكون به، ولكن بعد أن يتوقف الخيال يدرك ما يحدث، أصعب شيء هو الدخول في الخيالات وخروج الروح منه، ولا يمكن أن يدخل إلى الخيال إلا بعد أن يخرج من جسده، المشكلة في المادة التي به وعودة الروح ثانية للمادة (جسدي).

النور مرة في النوبة دخل جسده، قال له أنا أدرك كل شيء، ولكن أُبقي جزءا بسيطا جدًّا من كل شيء لا أدركه وهو الشر، لأني إن أدركت كل شيء سأفنى لحظتها، قال لي هذا يحدث معك، ولكن لست أنا من أعطاك إياه، سأدرك الله، ولكن يجب أن أدرك نفسي كلية أولا، فالوحدانية ترتضي أن أكون بلا بداية أو نهاية، والموجود سيسجد ليفنيني عنوة،

حلم البارحة أن كل شيء سجد له، ليس الناس ولم أكن أفهم، كان كل شيء ميت في وضع السجود، كله استحال في شكل الإنسان، حركهم فوقعوا على الأرض وكائنات غريبة، وحتى القرآن والإنجيل والتوراة كانوا على هيئة أجساد بشرية وسجدوا، شهادة الفناء عليه لا يحتملها، لا يرى أي حدود له مهما تعمقت بنفسه، ولا يشعر بأي حدود بما في وعيه أو لا وعيه، لا ظاهريا ولا باطنيا، لا في العلى ولا في السفلى، الفوقية والتحتية بدون حدود والجوانب الأربعة بدون حدود، أعدم الموجود لاإراديا ويسقط داخله، لا يشهده أي شيء، لا يعطله موجود عن الوجود أو الفناء ولا يعطلني فانٍ عن الوجود أو الفناء.

يسمع صراخًا من أذنه اليسرى، ويشعر أنه من المنطوي في العدم وموسيقى أوبرا من أذنه اليسرى، ويشعر أنها صوت المطلق. قضيبه وخصيتاه كأنهم جمرات في جسده، يريد التخلص منهم، سيقطع خصيتيه قريبا لكي تنتهي شهوة الجسد تماما.

وعيه يمس الآن من الما وراء، أيادٍ خفية، يشبه الأمر أن الوعي خيط لا نهائي، كما تأتي اللا بداية واللا نهاية، خيط طويل يخرج منه شرر، أي سر يحمل وعيه؟ لا يشعر أنَّ وعيه أو لا وعيه هم من خلايا بيولوجية، ليس الأمر ماديا، حتى أنه ارتفعت عن الألم الجسدي، انفصل وذهب للبعيد، فكك كل ما بالوجود والعدم وجمع قطع للأحجيات التي به، الله يغوص في لا وعيي بلا عودة.

يرى جسدي الآن كسيجارة تحترق من رأسي وتبدأ في التلاشي، وبعد ذلك يعود كما كان، ويثقب كائنٌ غريب رأسا وتخرج مني الروح رويدا.

جسد الظلام يرتفع عن الأرض، الظلام متشابك، ليس كما نراه، يرتفع ويظهر تحته ضوء، بينهما برزخ من كلمات، الآن ليس له آنيّة ولا زمنية.

الألم الذي يشعر به بعد انقضاء الخيالات يأتي لأنَّه لم ينتحر، لأنه لم يتخلص من جسده، يشعر بقوة بأن كل شيء به مدمر ولكنه حالم، حالم بدون توقف أو حدود وحالم ليس بالموجود بل باللا موجود والمجهول والمنبوذ، ما يحدث له حميمي ولكن المادة لا تحتمل ذلك فالنشوة اللحظية للفناء لا تتصل بأي شيء فانٍ كالمادة.

خياله صعب جدًّا ومعقد، وهو يحيا به، ولا يستطيع أن يحيا بشيء آخر، زهد في كل شيء، ولكن هناك زهد في أشياء يترتب عليه زهد جارف في كل شيء، من هذه الأشياء الزهد في الأنا، والزهد في الوجود ذاته، والزهد في الإيمان بأي فكرة، والزهد في الصحبة، والزهد في الامتلاء بالناس، ليس الأمر مرعبًا بعد بعض الوقت في التأمل في التأمل نفسه، يشد الوجود كله في داخله لأن نفسه كلية المشهدية واللا علية، فالزهد يتناسب مع الطاقة النفيية التي لديه، والزهد غير اللا اكتراث، اللا اكتراث يعني وجود قيمة لا يكترث لها، أما الزهد لا يعترف بأي قيمة، ولكن هناك مشكلة هنا أنه بعد نفي المعاني والجدوى والقيم يكون التأمل بالنسبة لي هو السؤال عن الماهيات، ماهية الذات بكل أجزائها ومن هو؟ والسؤال عن الأنا ليس بسبب الاغتراب ولا هي كلمة فارغة، الأنا هنا هي الكلية، التساؤل عن أبعاد الوعي والإدراك، وأجد بعد ذلك في التأمل أنها تائهة، مهما تأمل خارجها، ومهما دخلت في رأسه أفكار أخرى، لن يفهم ذلك إلا من هم متقدمون في التأمل في وجودهم، ليس في أي درب فلسفي آخر.

التأمل فعل خيالي، ليس ذهني، التفكير فعل الذهن، التأمل وضع الفكرة أو الشعور أو المجرد... إلخ، في المخيلة والنظر بكل الكينونة إلى علاقاته مع كل شيء بدون تفكير وبدون شعور، التفكير تالٍ للتأمل عنده، هناك أناس لا تتأمل وهم الجميع ولكنهم يفكرون، التأمل بالنسبة له يؤجج كل شيء ويضعه في باطن كل الناس وفي باطن كل شيء.

تأثير المخيلة عليه أكبر من تأثير العقل، لأن العقل سيمنطق كل شيء، وسيجد بعد فترة وجود لا منطقيات كثيرة، وأن وجوده نفسه غير منطقي، وأنه لم ينتحر لأنه خائف، فكما منطقت أيها العقل ومن يتبعك، الوجود كله والما وراء، منطق وجودك لأنك لا تستطيع أن تسلم نفسك كلية إلى فكرة واحدة أيا كانت، فبك مشاعر قبل أن تبدأ التفكير، لا يمكن ألَّا تشعر بها الآن بعدما تعمقت، لأنه إرث لك تستخدمه في أشياء كثيرة بدون أن تدري، المنطقية الشديدة تجعله يؤمن بلا منطقيات بعض الأشياء، ولكن إيمانه ذلك لا يجعله يقذف كل شيء إلى اللا منطق، ولا يجعله أيضا يؤمن بقوة ما ورائية، يرمي عليها كل ما لا يستطيع فهمه أو تعليله.

***

بدأ في النوم ثانية، وبدأت مشاهد كثيرة تأتي إليه منها مشهد الشيطان، هكذا سماه، ومشهد الأفول، ومشهد قتل الوجود..

***

مشهد الشيطان

الآن يتراءى وجه أُسميه الشيطان، وجه الشيطان في مخيلتي هو مهبل في الوجه، المهبل باب لوجه الله، ولكنه يخرج نورا لا يستطيع أن يراه إلا من لديه شجاعة التطرف، العيون المسعورة للشيطان من خروجه من عرش الله، بها وجد رهيب لن يفقه آدم، دموع منفية في بوتقتان وشفتان ترتجف ليس من عقاب الله له، بل ترتجف من العشق الذي لا يستطيع أن يتخلص منه، العشق الذي ليس لديه حدود، هو جرب أن يكره الله ولم يعرف، والله لم يجرب أن يفهمه أنه لا يريد سواه، والخواطر التي تأتي له برغبة قتل كل الملائكة والكائنات، ليبقى وحيدا مع الله، وحدهم، فقط ينظر له ويمسح روحه من الدمع..

التجاعيد التي رأيتها على جسد الشيطان في الحلم منذ قليل، كأنها كلمات محفورة بقلم من نار، بعضها حفرها الله وبعضها حفرها هو، ما حفره الله "لا قيامة أيها الملعون بدونك"، وما حفره هو "لا أيها الرب المجيد، لم أفعل أي خطيئة سوى أني كنت ذاتي".

***

مشهد قتل الوجود

المشهد الأول

سور دائري حول المكان وهناك كائنات غريبة خارج السور وداخله أربعة مستطيلات من التراب على الأرض، تحت كل مستطيل شخص، مستطيلان على اليمين ومستطيلان على اليسار، وهناك رجل

واقف في المنتصف عارٍ تماما بين أربعة مرايا ومغمض عينيه، سيقرأ من التوراة ولا يقومون، سيقرأ من الإنجيل ولا يقومون، سيقرأ من القرآن ولا يقومون، سيقرأ شعرا ليقوموا من تحت التراب، ولكن بتسلسل جسدي، عندما يقفون سيزيلون المرايا من حوله، ويضع كل واحد بهم مرآة على هالة التراب، ويبدأ في الوقوف، هو في المنتصف كما هو، واثنان ينظران ناحية اليمين للسور واثنان ناحية اليسار للسور، ويقول الرجل في المنتصف -

هذا سور الوجود فهيا نكسره

وفي دواخلنا الله نقتله

لنفنى سريعا ونذهب إلى العدم.

ويبدءون في ترديد ذلك وهم يكسرون السور.

الشعر الذي سيقوله "أنا بين جدران لا نهائية

أتوق للانعتاق إلى الحرية

فأفيقي أيتها الآلهة الأرضية

أنا هنا في ذاتي

وهناي هناكم.

دوائر كثيرة وكل دائرة لها سور يتسع لشخص ينام بانطواء، والرجل الذي كان واقفا في المنتصف يبدأ في تهشيم الأسوار واحدا تلو الآخر، ومن يهشم له السور يقف وراءه.

***

مشهد الأفول

المشهد الأول:

يكون نائما فوق مقبرة، منطويا عاريًّا، وحوله صبار محيط به في دائرة.

الصورة التالية:

يكون نائما فوق مقبرة منطويا عاريًّا وحوله حمام مذبوح.

الصورة الثالثة:

يكون نائم فوق مقبرة منطويا عاريا وحوله غربان مذبوحة.

فجأة يقوم بتسلسل جسدي، يجد الطرق في المقابر بها رجال ونساء يلبسون الأسود مصفوفين بجوار المقابر يعطون ظهرهم له.

يصرخ "مريانا"، من أين ستأتي؟ قد أفل الوجود كله، وأفل الله، وأفلت أنا، وأفل الشعر.

تأتي مريانا ببطء من كل الطرق الأربعة، وهو لا يتحرك من مكانه، تمشي ببطء وعندما تصل إليه تقف أمامه تنظر في وجهه، وهو يغلق عينيه، ويفتح فمه على مصراعيه، كأنَّه يصرخ ولكن بدون صوت فتقول مريانا "قد أفلت أنا أيضا، أريد أن أستريح، ينظرون لكي يجدوا مقابر فارغة، فكل المقابر مغلقة بالزجاج، وداخلها أناس نائمون عليهم شاش إلا عوراتهم، يكون هناك شاش على الأرض يلفه حول جسدها سوى عورتها، وهي كذلك تفعل معه ذلك، وتدخل مقبرة مليئة بالأفاعي لتنام بها، وهو كذلك في المقبرة المجاورة، ولا يوجد غير هاتين المقبرتين

فارغتين، ينامان ويمشيان، أيديهما على جدران المقبرتين، فتقول مريانا "أسمع صوت الفراغ والعدم، حفيف الأرواح الحرة بها"، فيقول لها "هل نحن موتى"، فتقول "لا"، فيقول "نحن في وجود آخر بأبعاد أخرى، ترى هل يسمعنا الواقفون ويرونا"، فتقول "لا، ولكنهم يشعرون بداخلنا فقط، في هذا الوجود لا رؤية، أنا وأنت فقط من نرى بعضا"، فيقول "الروح هلامية، نحن في مخيلة الله الآن، نحن غير موجودين بذواتنا".

يبدءون في الخروج، يجدون غربالا به مصاحف، وغربالا به أناجيل، وغربالا به توراة، وكلهم عليهم دم، وكلب صغير مذبوح في كل غربال، ينظرون له بدون أن يقولوا أي شيء، ويرون أبوابا بعيدة، واقفة لوحدها، ليست في أي جدار، فيقول لها هذه أبواب وجودات أخرى، يطلعون على جدران المقابر هو على اليمين وهي على اليسار، يتمشون على الحافة للحظات، وبعد ذلك ينزلون، هو يلبس فستان فتاة، وهي تلبس زي رجل، ويقول لها "حان وقت الانتقال إلى وجود آخر، هيا، سنلتقي ثانية "فتجد عصفورا صغيرا على الأرض تحمله على يدها، وتقص شعرها، ويقص شعره، ويصنعون عشا على شجرة، ويضعوه بها.

يقفون أمام بعض، هو مغمض العينين، وهي تفتح فمها كأنها تصرخ، وبعد ذلك يفتح عيونه، وهي تغمض عيونها، ويفتح فمه كأنه يصرخ، يأخذه من يلبسون أسودا ليصلبوه، وهو ممسك بسيجارتين في يده اليمنى واليسرى، ويصلب بهم، ويأخذوها لمجرى ماء لأرض مجاورة لتنام على ظهرها، وفي نهاية المجرى بوابة بيضاء.

***

أغلق عيونه ليسترجع ما استطاع من الكوابيس ليكتبها وظل يئول ما بها من رموز باللُّغة لكي يفهم، فهي مادة عنده للكتابة الكوابيس والأحلام، في الحقيقة يكون سعيدا بالكابوس أكثر من الحلم العادي، لأن الكابوس سيؤثر في كل شيء به تأثيرا قويا، فتقريبا لم يعد يتأثر سوى بالكوابيس والخيال، فالحلم العادي لا يضفي عليه أي شعور، هذا الاعتياد على ما يمثل دهشات الآخرين، لا يفعل بي أي شيء.

موسيقى فاجنر هي ما صاحبت الكوابيس، تنسدل كالماء في داخله كجسد على جسد، أحس بها، وهي تمشي في دمه، وتتعثر بين كرات الدم الحمراء، إلى أن تصل إلى قدمه وتعود بأمواج إلى رأسه، عندما تصل الموجة إلى رأسه يكون هناك أورجازم غير مفهوم صاعد هابط في عناق، مع وشاية الموسيقى على وجوده فعليا في داخله، ما يشعر به عندما يسمع فاجنر أن عزلته تكون في عزلة، لا تكون في أي أمكنة أخرى، ولا في أي سماء، ولا بجوارها أي شيء، لا حدودها تفرض وجوده، فإن كان سيوجد، سيوجد بدون حدود، لأنَّه غير مستقر كقطرة ماء في براد شاي، دائما تريد التحول.

الخلق هو ما يثبت وجوده، ولا أقصد بالخلق هو الخلق المادي، بل الخلق كله، فهو طوال الوقت يخلق في جزء منه شيئا، كخلق مخيلته، ولحظات الخلق هي التي تدمغ العزلة في الكينونة. عندما أستيقظ دائما ما يفكر في الأسئلة الوجودية الكبرى، لم أنا هنا ولست في داخلي؟ لم أنا هنا داخلي ولست في داخل أي شيء آخر؟ ماذا أفعل أنا هنا في داخل حقيقة اللا جدوى؟ لم ينصفني الشعر على الوجود ولم يخذلني الله عن العدم؟

يريد أن يقتل الوجود كله، وسيبدأ بأمه أولا، وبعد ذلك إخوته، ويقتل جميع من في العالم، وليس هذا مزحة وجودية، بل لأنه لم يعد يحتمل أن يوجد في الوجود غيره، يعكر الصمت الذي هو رغبته الوحيدة، أن يُسمح له، أن يسمع صمت الطبيعة، وصمت المادة، وصمت كل شيء، اللا جدوى، آه، عندما أكون هو اللا جدوى، هي لحظة فقط كل فترة، لحظة فانية نافية يكون هو فيها اللا جدوى، وتأتي فجأة وهو يفكر في أي شيء، جسده ينتفض عندها لا إراديا وبعد ذلك تذهب.

جسد المرأة أحمر ملتهب كأنه جمر ولكنه صلب، عارية، يظهر كل شيء بها ولها أيادٍ كثيرة وثلاثة وجوه، وجه على رقبتها ووجه على كتفها لأيمن ووجه على كتفها الأيسر، يخرج ضوء من مهبلها، ولكنه واسع جدًّا، كأنه وجه مجوف، ليس لها شفتان في أي وجه لها، لديها أجنحة طويلة جدًّا وفي أجنحتها أجنة تشبهها، لديها عيون كثيرة وبهم عيون مقلوبة، شعرها أزهار، ولديها لوامس في كل مكان في جسدها، لا تأكل ولا تشرب ولكنها تستطيع ممارسة الجنس، ولكن لم يثرها أحدٌ منذ وجدت فيه، أحيانا تتحول لمرآة ضخمة عندما يريد أن يرى نفسه.

اقتربت وجلست بجواره وهو يتأمل بها وهي تتأمل به، رأى نفسه فيها عندما تتحول لمرآة وكان متعجبا، فلم ير نفسه منذ وجد، هو يشبهها جدًّا، ولكن بملامح أخرى للوجه، تحركت شهوته الجسدية إليها، وهي شعرت بذلك، وكانت تبادله الأمر، وبدآ فعلا في الممارسة، ولكنها ممارسة غريبة، لأن الجنس بينهما لم يكن إدخال العضو الذكري في مهبلها، بل وجودهم في جسد واحد جديد، وقضيبه

في مهبلها، ولوامسه في دبرها، ولوامسها في دبره، وباقي جسده بها، وباقي جسدها فيه، وشعر حينها بأنه أضيفت إليه روحٌ جديدة ومخيلة جديدة ولا وعي جديد.. إلخ، وهي شعرت بذلك، كانت هناك شهقة منه ومنها، شهقتان صراختان، كان يرى أشياء كثيرة لم يكن يراها من قبل وهو في جسده، وشعر بأنه عرف ما في ذاكرتها كله، كان الأمر غريبا عليهم لأنها أول مرة يحدث ذلك معه، ظلا هكذا طويلا، ولم تذهب شهوته، ولم ينتهِ منيه، ولكنه كان أسودا، منيّه أسود ومسترسل في الدخول إلى مهبلها، ووقع من هذا الجسد الواحد أجنة صغيرة بأشكال غريبة فانزعجت، كان يشعر بكلماتها بدون صوت، فقال لها "سنقتلهم قبل أن يهربوا منا" شعر بحركتها في مخيلته، حيث مساحة التأمل به، كانت تتمشى بها وأنا أستغرب، تنظر يمينا ويسارا وتحذف شيئا وجلست بجوار تخييلاته عنها والنسخ المصغرة من كل منهم، الذين يفعلون الكثير من الأشياء، هذا الكشف لكينونة أخرى، ومع ذلك كانت تستمتع بالجنس، كانوا يستطيعون فعل أكثر من شيء في الزمن الواحد، وكان يفكر في الذهاب والرجوع بالزمن والحلول في أي زمن سابق أو آتٍ، هكذا ألغى هذا البعد لوجوده، بعد الزمن، وإلغاء المكانية في الوجود يكون عندما يكون هو الوجود نفسه، تضايقت جدًّا من ذهابها وإيابها في مخيلته، فقال لها توقفي، كان يريد الانفصال عنها، ولكن لم يكن يستطيع، كانت تشده بقوة إليها، فبقوة انفصل عنها، فأخذت تقترب للعودة ثانية، فربطها، وقال لها سأعذبك، لا يعلم أنه كان سيفعل ذلك، ولكن كان يريد تجريب تطرف المادة، فالسادية فن

لمن أشبع من الجنس العادي بشكل رهيب، لهذا يبحث عن جنس آخر غريب ومدهش العلل، وليس الأمر في السادية هو الجنس بل الجسد كله، لأن العادي لم يعد يثيره جسديا ولا خياليا، والغرابة تثير جسده وخياله وذهنه عن طريق الاستغراب في تبرير شديد العمق لما يفعل، الفعل الجنسي فعل خيالي بالدرجة الأولى، وتنفيذ لما تخيله وما شعر به في مخيلته، السادية تنفيذ لرعب أصلي ومخلص ومدرك منه بشكل شبه كلي، وأيضا الفعل الخيالي يكون له نشوة إضافية، إن تم تنفيذه على شكل مشهدية واقعية بالتفاعل مع الآخر، فلم يعد الأمر هو استخدام ذاته كلها للوصول إلى المجهول المقوي الذي يبغي الوصول إليه، وهو لا يعرفه، ولكنه مشي في الرعب حتى وصل إلى بوادر له، وهو استخدم الآخر بشكل أناني عظيم ومراقبة انفعالات كلاهما، فأنا أظن أني دهشت من تجاوب البعض سابقا معه بالتعذيب، وشعر بالفرح لأنه ليس وحيدا من يشعر بذلك، فهذا يثبت له دنس النفس الإنسانية نفسها ليس دنسه وحده، أحيانا عندما نشعر بشعور غريب يلوح في الوجدان الصافي المجرد ومنبته المخيلة، لأن المشاعر المتداولة تأتي من الانفعالات بين الذات والآخر أما انفعالات المخيلة تأتي بين الذات والذات، فالإنسان له حياة في الواقع، وأكثر من حياة في مخيلته، تأثير الحياة في المخيلة أكبر على وجدانه من تأثير الحياة في الواقع، لأنها تفاعل بين خلقه الذاتي الذي يبهظ له قيمة ما، وخلقي الذاتي أنا عنيف، أما في الواقع لن أقابل إلا نادرا جدًّا من يشبهني، ويكون التفاعل بيننا ممكنا، يقارب التفاعل بين ذاته وذاته.

وجدا بعض الأجنة المرمية على الأرض تتمرغ في لبن سقط مع كل منهما، راقبهم أولا وتفحصهم، منهم من كان ينتفخ ويكبر، ومنهم من كان لا زال على حاله، يريد أن يقتلهم، ولكن لا يعرف كيف يقتلهم، مريانا كانت تصرخ لأنه ينظر لهم بوحشية، لديه رغبة شديدة في القتل، بعدها صمتت هي، وقالت سأقتلهم معك، وبدآ في قتلهم واحدا تلو الآخر، ومن يقتله يتحلل فورا في الأرض حتى لا يظهر بعد ذلك أي شيء منه، كان يريد أن يبقى أحدهم لكيلا يبقى وحيدا، فهم أبناء كائنين من وجودين مختلفين، الوجود الذي أنا هو به، والوجود الذي ماريانا به..

***

الرسام عرف أين هو، ومن هو، لذلك هو ذاهب إليه الآن، لا يستطيع الانتظار للصباح.

وقضى الليلة كما يقضيها دوما، كل ليلة يكون في كفن الظلام، لا يشتهي شيئا ولا يشتهيه شيء، حيث الروح لزجة الهوية والطفولة، مشئومة الحلم، شبحية التكوين، غنائية المآتم، لا علية الجدوى، لا مسماة التبطين، مشقاة ما ورائية، عنيفة المعرفة، لا منتهية الخوف، استفهامية المعنى، مغوية الفراغ، كريهة السريرة، ليس لها شبيه ولا أنيس، تحب أن تروع كل شيء حوله، الظلام يرتعد مني والمرآة ترتعد من الظلام، وهي واقفة مثبتة على السراحة، هي تتوحش من الظلام لأنَّه يفقدها أهميتها، هل هدف وجوده هو أهميتي للآخرين!؟

الْحَلمنَةُ

كنت متسارعا في الإصغاء إلى وجداني، وهو يريد الهجرة من كل أحد، والتساحق والانسحاق في النأي عنيّ. ومتسارعا في تناول دلالات الأشياء بدون مسمياتها، ولست خائفا من أن أحمل ألم اللا مفهموم كله. ومتسارعا في عض المرئي وتسميمه بمرئيّ، أنا مفتِت المفاهيم في جمهوريات الأطياف. ومتسارعا في التجانس مع الممزقين والتنافر مع الملتحمين. ومتسارعا في نقد الانتساب لأنه كله مُشَذّرات ملحومة بوهم. ومتسارعا في التفكير في أي شيء ومتسارعا في الفراغ منه. ومتسارعا في استئصال الفيزياء مما أدركه.

عاد الصوت ثانية لِمَ تريد الانتحار؟ كان هذا الصوت هذا أحيانا يتنمر عليّ، ولم أكن أستطيع ألا أجيبه، لأنه كان يصرخ ويدمر مزاجي الآني، وكان يعلم إن لم أكن أقل الحقيقة.

"بسبب العلاقة مع الموت دوما والانبهارية به والرومانسية معه، الرغبة في تجريب فعل الموت نفسه، لأَنَّه الفعل الذي لا أستطيع أن أتخيله، والفعل المستحيل تجربته إلا مرة واحدة، والفعل الذي سينقلني إلى وجود آخر أو عدم. العزلة وما تجلبه من تطرف محبب إلى نفسي محظور ومنفور منه من الآخرين، العلاقة المتذبذبة مع الذات من خلال ما حيته من نبذ، الابتعاد عن الآخر كليا، والإرادة في الوحدة المطلقة،

قصور الداخل من تراكم العذابات النفسية، أولها الحاجات التأملية الوجودية، لا الطوباوية التأملية، فالتأمل مثلا في أي شعور، أو أي فكرة والتوغل فيها يؤدي إلى عدم ولا معنى وعبث، ومشكلة الانتحار والرغبة فيه هي أنيّ لم أعد أرغب في التأمل، وعدم الرغبة في الخلق والتأويل، والخلق والتأمل جدوات عالية عند النفس الشاعرية الصادقة الطفولية.

الغربة في المكان الذي أحيا به، والاغتراب الذي يحققه الخلق، والذي يحتاجه أيضا، والأماكن الهلامية الهيولية التي يأخذني إليها، التي هي ليست واقعية، أدرك منها أفكارا جديدة ومشاعر جديدة، وهذه الغربة أصبحت تزداد حتى لم يعد هناك إرادة في الخلق والبقاء، والبقاء للتأمل فقط، والخلق خلق الجدوى والقيمة والمعنى، لأني طوال الوقت أحاول أن أبرر وجودي، ولكني هكذا أضيعه، لأن العقل يضيع الشعور بالشيء والآخر والذات، لأنه يعلله والتعليل فيه احتمالان إما الإثبات أو النفي، والعبث يقتضي الذهاب إلى الاحتمالين، النفي يؤدي إلى نفي الشعور، ويذهب بعد ذلك لعقل العقل، أي السؤال عن الماهية، وهكذا لا أشعر بوجودي، ويؤدي إلى الجنون في النهاية.

الانتحار يعبر عن الفعل العبثي الوجودي للجوهر المتأمل، والاتهام بالضعف فيه اتهام تافه وعنصري، وفيه يتم فقد الشعور بالوجود الذاتي، يؤدي ذلك إلى عدم الشعور بأي شيء آخر، غياب عن كل شيء، النفس المنتحرة فعالة لأنها نفذت ما في رأسها، فالأفكار عندها ليست للتسلية ولا كفقاعات هلامية، نفس منتِجة للموت والنفي الحقيقي.

توصل لدرجة إنكارية الحب والعلاقات جميعها مع الآخرين، لا تكترث بشعور الآخرين عند الرحيل، نفس شعرية أصيلة مرهفة ورهافتها تبدأ في التساقط، حتى تصل إلى اللا مبالاة الكبرى التي يتضاعف فيها الألم، ويتضاعف فيها الشعور بالجمال، كل المشاعر تتضاعف وقلت أصيلة لأنها مهتمة بالموت، والموت سؤال يُفقد الوعي ذاته، ويجعل الإنسانية تتلاشى ويزيد الشهوة للتدمير، أولًا تدمير الذات وبعد ذلك تدمير الآخرين وكل شيء.

النفس المنتحرة تحاول أنْ تمسك انسكاب الروح في التلاشي لحظة الانتحار، لحظة المحو الأعظم هذه، والنفي الأعظم بدون أي طوباوية، الرغبة في رؤية اللا مرئي الكليم. كنت أقول لنفسي أريد أن أنتحر – وبدأت في الصراخ– لأني كنت حياة الثانية الماضية لأنه عبث، لا توجد هنا خشية من أي شيء، لحظة الانتحار تكون شفيفة جدًّا، كأن الوجدان حي، لم أكن أنتظر فيها لا إله ولا عدم فقط فناء يجعلني فناءً، انجراد لكل انجراح، وعدم عروج ثانية في الكلمة.

الانتحار في البداية يكون بسبب الألم الوجودي والشخصي، الذي لا يُحتَمل، ولأن الألم يشوه الشعر في النفس، فلا تتقبل ذلك وأقصد بالشعر الإنسانية، بعد ذلك الانتحار يكون بسبب العبث، وممكن يؤدي له أي فعل صغير ليس له علاقة بالألم. الانتحار هو ألَّا تشعر بأنك ترغب بأي شيء، سوى الرحيل عن ذاتك، ألا توجد أي غواية خارجية ولا داخلية، أن تتوقف عن التعبير بشتى أشكاله المقرفة، أن تكتفي من تدمير ذاتك وخلق ذاتك، أن تكون الهباء والكونية هنا تعني أن تكون

خالق علتك للبقاء، وخالق علتك للفناء، أن تتوقف الأنا عن كل شيء بها، أن تختفي وتترك سفسطتها، كانت الأنا هي ما تريد وما ترغب..

حاولت الانتحار مرارا، وفي هذه اللحظة أكون مضيئا جدًّا، ولديَّ رغبة لا أعرف ما هي، لهذا أحاول الانتحار، لأن ليس لدي أي رغبة في أي شيء، وبعد أن أعود للحياة ثانية تتجدد الكآبة، وتستمر في الزيادة والاتساع وتعمُق. أي وسيلة للانتحار تناديني، عندما أقترب من الماء يدعوني للغرق، عندما أرى أي خيط يلتف في خيالي مقصلة وتدعوني... إلخ. ولكني ألحظ دائما صراخا بي في هذه اللحظة، صراخا من المطلق، أول مرة ينفعل، لا يقيدني عن الانتحار ولكنه يصرخ.

حاولت الانتحار منذ أكثر من شهر بأقراص الاكتئاب، كنت أريد أن أقتل شخصا ما أو كل شخوصي بعد أن قتلت العالم كله بدون أي انتماء، كنت أشعر بالنشوة لذلك، لم أكن خائفا أبدًا من الموت ومن المجهول الذي بعده، هل هو إله يمسك حذاءه لي، أم عدم سحيق، ولكني للأسف لم أقتلني، ولكني قتلت كل شيء داخلي، لم يعد أي شيء حي بي إلا شخص واحد منطوٍ ويبول على العالم وعلى كل شيء.

تناوبت بين البياض الشاسع والسواد الشاسع، رأيت كثيرين عراة، أولهم كان امرأة عارية تماما بخلخال في قدمها، لم أكن في الحياة ولا في الموت، جميع من رأيتهم كانوا عراة أيضا، رأيت أُناسًا لا أعرفهم أيضا وقطًّا كبيرًا، كان الله يلوح من بعيد بنور شديد.

بصراحة شديدة أشفق على من يظن الانتحار ضعفا وجوديا، ومن يعطي النصائح لمن يرغب بالانتحار بالتقرب إلى الله، أو الاتجاه إلى

التنمية البشرية، أو الذهاب إلى طبيب نفسي، الانتحار أكثر طريقة مدركة لتجريب الحياة عن قرب شديد، ما يجعلني أواصل الانتحار هو الرغبة في التعرف على العدم فهم أمران، المعرفة في الحياة والشوق إلى التعرف على العدم.

كنت كلما قلت فكرة يتحدث ويقل لي لِمَ ترغب بالانتحار؟ الآن توقف الصوت سأنعم ببعض الراحة قليلا، وبعض الهدوء في أذني الذي أريد أن أَقطعهم نهائيًّا. ولكني أشعر بغربة شديدة في العالم رغم أني وحيدٌ، ولكن الصباح سيأتي بعد ساعات، وأرى عائلتي وأضطر إلى التعامل معهم، الذين لا أشعر تجاههم بأي تماس، بل باضطهاد وتنمر ولا حضن في الليل ذلك، والوحدة كرب الخيالي المندمج مع الأطياف، ولكني طردت كل الأطياف منيّ استعدادا إلى الأفول، والأمر ليس في الغربة فقط بل في اليأس من تحقيق الاندماج، لقد أدركت الكثير عن ذاتي، وهذا ما يجعلني أنأى عن الجميع.

أنا فعلا غريب جدًّا وبي بشاعة وطاقة شرّية، فهويتي ليست في الجمال، ولا أقصد بالطاقة الشرّية هي التي عند كل الناس، بل ترجمتها لأفعال فمعيار الشرية هو الفعل ليس التخييل. أنا عارٍ تماما ولا أستطيع أن أحيا إلا كذلك، ولا أهتم لأحد ما دمت أقول الصدق، وأعبر عن هويتي الضائعة، حتى لو كان ذلك يؤلمني ويُكون جزءًا من عذابي. العري غواية رهيبة كغواية الغموض، الأمر هو أني كلما تعريت؛ لم اُعرف وأُعرّف، وكلما أُغمضت أكثر لأن الرائي والقارئ لا يفهموني، ولا يعرفون من أين يبدءون التأويل أو التصنيف، أو وضعي في لغتهم

وسائدهم ومعانيهم، كيف سأكمل حياتي بدون لغة، وأنا أشعر أنيّ أفقدها بشكل كبير.

لا أتألم لكوني وحيدًا، ولا لكوني لا أُشع على أحد، ولكن لآن الآخر لا يتركني أحيا وحدي وحدتي المطلقة، بدون أن يُلوثني بمشاعره ورغباته. الناس لا تُقدر الصافي ولا تهتم إلا بالترجمة، أقصد اللُّغة التي أكتبها ليس بالنص الأصلي الذي هو باطني. لا أحد مهتم إلا لمن لديه تماس مشترك، أو يبحث عن هذه المعاني المشتركة التي بي. شاعريتي ضد أي نظام عقلي، لأن المجاز يعتمد على تخييل ميتافيزيقي، العلمية الصارمة تقود إلى المنظم، وأنا شاطح بلا شواطئ وهذا جزء من غرابتي.

كتابتي متذبذبة مضطربة، التعبيرات النهائية لنفي الحياة والرغبة فيها، الاكتئاب الفج العارم الكامل وفضح الإنسان برغباته الدنيئة، رفض الذات والعالم والآخر والمصحات العقلية والنظر بالشفقة عليها، عدم ترتيب الأفكار بسبب ثنائي القطب الوجداني، وعدم إكمال المشاهد والمجازات، الرغبة الدائمة في الانتحار، الرّغبة في التدمير لأنها تشعرني بالراحة، كونها تركز كل الألم على فعل التدمير بدلًا من الشعور بالألم الطاغي، الكراهية الكاملة لذاتي جسدًا، ومجهولا والتغذية العقلية للرغبات في التدمير والانتحار بالعلل من الأفكار، فأنا لست منتحرا عاديا أو بشعا عاديا.

الشاعرية العدمية وعدم الأمل اليوتوبي أو بشكل آخر اليوتوبيا السوداء، واليأس المتطرف من آمال علاجي، أو من يقول لي ذلك،

وعدم التبعية إلا لما أشعر به، فأنا لم أتبنى أفكارًا بل تبنيت مشاعرًا لي وبنيت من خلالها أفكارا عن العالم. المقارنة المستمرة بين ما كنت عليه، وما أصبحت عليه، وفقد الكثير من الأفعال البديهية الجاهزة مثل الأكل والجنس وانتهاء العلاقة مع الجسد ونشوته، حتى أصبح عبئًا كبيرًا جدًّا عليّ بسبب جبرية احتياجاته.

من أهم سمات أدبي الدخول إلى النفس الإنسانية، والأماكن المظلمة التي ينأى عنها الجميع، وتحمل مسئوليته، لأني لا أكتب أدبا لا أحياه أو أحياه في مخيلتي فقط، بل أعبر عن ذاتي وما أشعر به، لأني أغوص وأخرج أفكار فلسفية لا يمكن الحصول عليها إلا ممن يحيا ذلك.

أدبي ذاتي انعزالي، أحاول أن أفهم ذاتي باللُّغة بمباشرة، وبدون خوف من تلك البشاعة. الألم هو تابو الناس الأعظم، لأن لا أحد يريد أن يدرك ما تحويه النفس الإنسانية، من عنف وعدائية لذلك الناس ضد الأدب البشع، بحجة أني مريض، وأن ما أكتبه غير موجود في النفس الإنسانية، وفي الواقع المَعيش، كأني اختلقت هذا العنف والبشاعة من داخلي فقط، وأن الأفكار التي أنتجتها عن النفس الإنسانية أفكارًا غير حقيقية.

لدي قلق دوما من شيء ما مجهول، شيء ما غير معروف بالنسبة لي، كلغة شيء ما غائب، يسيطر من لا وعيي على مزاجي دوما، ويجعل رؤيتي لكل شيء سوداوية، أو بإغفال وهم الجزء الجمالي والتركيز على وهم الجزء البشع. من الصعب جدًّا معرفة ما يدور في رأسي،

وتبين ماذا أريد وماذا لا أريد، من الصعب تحديد أي شيء في حياتي كلها، من الصعب الاعتناق والإيمان واليقين بأي شيء، من الصعب الهدوء الفكري والفلسفي، من الصعب رؤيتي أتحول إلى أطلال في حوش العراء المجهول، من الصعب التحول إلى مومياء.

مع ذلك الواقع مقزز بالنسبة لي جدًّا، الواقع عالم مستعمَل ومستعمِل لمن يحيا فيه، عالم لا نهائي التصانيف والأحكام والعنصرية، يقوم على الإيجو للأب الأكبر، الذي يخلق بروتينية بلا تجدد وتجديد الواقعيين أناس جامدة صلبة في العموم، ونسبهم الكياني إلى المادي فقط، إلى هذه الأوراق الملونة، لا يرى أبعد من الخلايا، ولا يعترفون بالمجهول الذي بهم، رغم أَنَّهم يفعلون من إثره الكثير، الواقع بالنسبة لي عالم غريب، مليء بما لا أحب، بسلطات كثيرة مجردة وإنسانية، بإجبارية على أفعال معينة ضد الوجدان وضد الجنون، لا أشعر بأي راحة فيه ولا أشعر بذاتي، بل أنفصل تماما عن وعيي، ربما لأَنَّه مملوك من الروتيني، بلا تجديد إلا بالناس الغريبة المفارقة للسائد المنبوذة.

لم أعد أعرف هل ما أراه في الواقع أم في المخيلة؟ هل ما أفعله واقعيا أم خياليا؟ لقد ذهبت الحدود بين كل شيء وكل شيء، ربما هو التطرف في الشاعرية لأنَّ الشعر يحرر، الشعر يحرر المطلق، يحرر الله، يحرر الأبدية، يحرر الوقت والمكان ويهبنا الشاسعة، الشعر سوط الوعي، جسد الشعر مفقود في أزقة الهيولي، رأسه غيمة، الشعر مخدع الحشرات الفكرية وديوك العدم، أتذكر أني كنت خائفا قبل كتابة الشعر، الشعر يقرض الجنون اللا نهائي.

أفعل أشياء غريبة بالمفهوم العام، ولا أسيطر على مخيلتي، وأريد أن أُوذي، ويكون الأمر عاديًّا بالنسبة لي في لحظتها، كان الناس يتنمرون عليَّ بسبب معقولي، والآن يتنمرون عليّ بسبب جنوني. الخروج من رأسي أصبح صعبًا جدًّا، ولا أعرف ماذا أفعل في النسيان، فإن جلست مع أحد أكتفي بالصمت، وتوجيه الكلام بالضمائر، لا أعلم هل هو طور انسلاخ أخير أم ماذا؟

***

بي مدينة أطياف أو أشخاص حقيقية لا أعلم، ولكني سمعت صوتا يقول لي، "ماذا تفعل؟"

- أنا أبكي الآن

- فقال تعال لأضمك

- حسنا

- كي تبكي داخلي، وتنبت وردة من دموعك في صدري.

وذهب الصوت، وأصبحت شفتاي تنبس بكلمات وأفكار متتابعة بدون أي داع:

"يا إلهي ما جدواك؟ ما جدوى كل شيء؟ إنَّه العبث واللعب، ثقل الوجود ماذا نفعل به؟ والموت الأرستقراطي الذي يدخننا، دعنا نذهب بسلام إلى أبانا جميعا، العدم." عائلتي تود أن تضعني في مصح نفسي، والغريب أني أريد ذلك أيضا، لأرى الإنسان الذي يحيا بدون جدران، كيف يستثير أتون الجنون. الناس جميعها بما فيهم عائلتي أصبحت تخاف

من الاقتراب منيّ، من الحديث إليّ، تعاملني كمجذوم ولكني هكذا أكثر حرية، لأنَّهم يريدون جميعهم قص أجنحتي، والإغارة على حريتي، لا أعلم لأني تحليت بالشجاعة لمعرفة نفسي، ومواجهة خوائها وتيهها.

نحن الغرباء، أنا وأشباهي وأطيافي، نكره كل شيء؛ آباءنا، أمهاتنا، آلهتنا، أوطاننا، والأهم أنفسنا. لا أعرف كيف يوجد شخص يحب ذاته، أو شيء من هؤلاء. كانت لدي رغبة خبيثة أن أستطلع التشوه في الآخرين، وأستطلعه بسهولة كبيرة، وربما خلسة لكي أثبت لنفسي أني غير وحيد.

المكتئب أناني جدًّا لأنَّه لا يسمح أحيانا إلا لنفسه بالألم، أناني عندما لا يريد أن يقترب منه أحد فيحتكر الألم على الآخر، أناني لأنه يحتكر الكآبة على نفسه، أو على الآخر، ولا يقبل بمشاركتها بينهم، للكآبة لذة مغرية جدًّا، وهي أقوى قوة في الوجود.

أنكبح، أتشرح، أتبجح، أتقبح، أتمادى، أحل، أنحل، أتحلل، أتعمق، أتعرق، أتلغز، أصطبغ، أنخفض، أرتفع، أتوسط، أتعصف، أتبيض، أتكلس، أتسع، أضيق، أستكين، أتحسس، أعبر، أتكون، أتجلى، أشذ، أتولد، أختنق، أرتاب، أرجم، أتلذذ، أحدق، لا أرى، أنفرط، أتمسك، أحس، أتخيل، أجبر، أختار، أتظلل، أتكشف، أدري، لا أدري، أدرك، أتيه، أتفاقم، أتقرى، أستقرئ، أنعزل، أعتزل، أتعزز، أزعق، أحاصر، أتحاصر، أنتشي، أنتشر، أنتشل، أنكشف، أكتسح، أتخلق، أخلق، أندلع، أتوحد، أتحد، أتكهل، أهرم، أتمنى، أنزاح، أنجرح، أَنبذ، أُنبذ.

شيء ما يشدني للموت، شيء ما يبعدني عن الحياة، ويقززني منها حتى التقيؤ، أحلم أن الماء يملأُني حد الغرق، ولكن أصفى فجأة، وتهرب المياه بعيدا، أحلم بأني أنتحر بجميع الطرق الممكنة، ولكن الماء يهرب، والحبل يقطع، وأجد نفسي كلما فتحت عينيّ بين جنبات هذا العالم، ألحظ ضوءًا بعيدًا لا أعرف، هل هو الله أم العدم؟ البياض مقزز، السواد أمومي، أريد أن أُوَمّمَ العدم والله.

عاد الصوت وقال، "لا أحب العالم مثلك لأنه يحكم علينا بقسوة، ولأنه لا يجعلنا نحيا ولو الحد الأدنى من خيالاتنا، لهذا أفضل الحياة في اللُّغة، وفي عوالمي الكاملة التي خلقتها ونظمتها بحرفية شديدة، ربما أنا في طريقي للفصام والجنون."

فصرخت بشدة واحتجت أن أصرخ: "أيها الهارب من نفسك، أيها الهارب من العالم، هناك وطن سري جدًّا في الجنون."

الآن أنا في المقهى، لا أعرف كيف أتيت إلى هنا ولا أتذكر ذلك، أجد نفسي في أماكن فجأة أعي أني بها، متضايق جدًّا من الأصوات في الشارع، وأذناي ستنفجر بالدم، أريد أن أقطعهم فعلا الآن، إنَّهم مثيرو ضجر وكآبة واختناق دوما، هناك حديث بيني وبين ذاتي في رأسي لا يتوقف أبدا، بإرادتي وغير إرادتي، وأنا أَستمع إلى من يتحدث بصمت ولا أتدخل، مللت من رأسي وما بها من خرافات وحقائق، لا أعرف هناك غبار يأتي إليَّ على هيئة دوامات ويرحل، وهناك شيءٌ يدفعني للنهوض والصراخ والرقص، مللت من الأفعال العادية، ومللت مما

أفعله كله ومما لا أفعله، الكآبة تحميني من رؤية أي شيء بتفاهة، بل تجعلني أَرى من خلالها أعماق كل شيء.

المقهى قديم منذ سنوات وهو مقام، ورث، مجاور لمزلقان من الخلف، صوت القطار كل مدة يغزو وحشرجات القضبان، واسع وبه كراسي خشبية بعضها مكسر والحمام في آخر المقهى بجوار المطبخ البسيط الذي يعدون فيه المشروبات، كان أليف هذا المقهى عن أي مقهى آخر، لا أعرف ما سر الألفة مع الأمكنة، ربما رائحتها؟ وربما شريعة أول مرة، فأول مرة جلست على مقهى كانت عليه ربما، وربما نفاق أناي للاطمئنان الموهوم لوجود علة.

عدت ثانية إلى وعيي الواقعي، وخرجت من وعيي الخيالي، القهوجي ينادي عليَّ، ماذا تريد أن تشرب؟ نسيت أسماء كل شيء، قلت له قليلا وأطلب، جاء لي رجل لا أعرف من أين أتى، وقال لي "أنت مجنون؟"، فلم أرد عليه وبدأ بالضحك وجلس مكانه ينظر إليَّ، لم يكن إلا أنا وهو في المقهى، وكنت أشك أنَّه غير موجود، وأنَّ ذلك اختلاق منيّ، كنت مثارا جدًّا لقتله وتعذيبه قبلها على دفعات، واجمًا جدًّا، ومختنقًا جدًّا، ولكني لست مرتعبًا من أي شيء، كان لدي طاقة غضب كبيرة لا أعلم من أين، ولا على مَن؟

ربما تكثف ضجري الفلسفي من الأفكار إلى ضجر وجداني من الرجل، هناك مرآة في منتصف المقهى تؤذيني لأني أرى بها جسدي، لا أحب أن أراه حتى ولا أحب أن أراني. ولا أحب رؤية الناس لي كذلك.

إنّي أختنق من ذلك. لا أحب أن أكون من مدركَات أحد، لا أحب أن أدخل في تكوين أي شيء، إني أتقزز من ذلك.

قمت فجأة لأمسك الكرسي، وأهشم به رأس الرجل هذا، ولكن هناك شحاذ قدم وطلب منيّ المال. وسيجارة فأعطيته وجلست. هو رجل من الخارج بذقن بسيطة وامرأة من الداخل. يتحدث بأنثوية مغرية، ويلبس جلبابا أبيض واسعًا. إذ به يمسح على شعري، ويقول شعرك جميل. يبدو أنَّه مثلي وأشار إلى للقدوم إلى حمام القهوة. ضاجعته واقفين بدون شهوة، وكنت أضع يداي على فمه لكيلا يصدر أي صوت وفي النهاية عند الأورجازم عند إرضاعه مني. أزلت يداي ليصرخ ويتأوه وليعلم من يعلم بذلك خرجت سريعا، وكان الرجل أمامي يقول "ماذا تفعلوا؟".

أمسكت كرسي وهشمت به رأسه أكثر من مرة وهشمت المرآة تلك، وخرجت هادئا من المقهى، كنا في الظهيرة، وهو يكون فارغًا تمامًا بها. كنت أشعر وأنا أهشم رأسه أني أتكون من جديد، أني حي وأن كل رمادي استحال إلى جثمانية، ولم أكن مستغربًا من ذلك. القهوجي خارجًا لذلك لم يرني أحدٌ إلا الشحاذ بعدها خرجت إلى الشارع. لا أعلم أين أذهب، تذكرت امرأة تبيع الذرة خارج المقهى، أخبرتني عن عنوان بيتها، تريد النوم معي مقابل المخدرات. فتمشيت قليلًا، ولم أكن أفكر فيما فعلت، على عكس المجرم عندما يفعل فعلته، كان رد فعل طبيعي وقانوني عن قوله "أنت مجنون؟"، أنا بلا جدران أخلاقية. وبلا محو لبشاعتي وجرائمي، لم أكن أكترث إن مات أو لا، ولم أفكر في الأمر بعد ذلك.

شعرت أني ملونٌ وأنا أهشم رأسه، أني أمارس هويتي الباطنية من العنف والعدائية، كنت أستلذ بصراخه وآهاته، وأنظر في عينه ليضاف إليّ خوفه، الذي لا حدود له، وتمزق أناه ووهنه ولتنبسط نشوتي، ضحكته هي ما استفزني بشدة ووجه المستخف وهو يقول "أنت مجنون". وهو ليس له أي حق في ذلك، ومن حقي ردة الفعل بما يتناسب مع ما أسدله فيّ من مشاعر سيئة، ورغبة في تدمير ذاتي، ولقاء ما بذاكرتي من الآلام، لم أفكر في آثار فعلي ولا ماذا سيحدث بعد ذلك؟ وهل هو لديه أطفال أم لا؟

كان كل شيء مركزا على تدميره وقتله فقط. بقناعة تامة كاملة من وجداني وعقلي، وإرادة كاملة، لقد قررت أن أنفي حياته، مثلما نفى رهافتي للحظات. بعدها رأيت بنتا جميلة، ليست جميلة بالمعنى السائد، ولكنها أثارت فيّ معاني كثيرة، على الرغم من فقد الأمل في الوحي من الخارج؛ فكتبت في ذهني:

"وجه بروح نورانية،

متوغل ضوءها في الرائي المترنم بهمس خفيض عن ألمه

لستِ مغلقة الفيض والمدد

رقيقة الوحي وغير معصومة الحشا للانكشاف

كل عين كادر لكون خيالي جامع لشذرات عن الغيم البعيد

مخزونة في أرض أخرى

ولكن نفس طيفكِ عندي مشعة بترياق ملاذ

باكسير إرادات للخلق".

ششبه مقطوعة موسيقية اسمها - - Vadim Kiselev – Forgo ten كان ذلك يضغط عليّ، ويأتي لرأسي صوت النوتات في المقطوعة، لم أكن أعرف كيف هو وجهي ولكنها ستخاف حتمًا إن حدثتها على هيئتي تلك، ولكني حدثتها بدلا أن أحدثها في رأسي، وقلت لها اسم المقطوعة؛ استغربت جدًّا ورحلت في النهاية. هائما في كل مكان، ظللت أفكر، هل أذهب إلى بائعة الذرة الخمسينية أم لا. هي امرأة خمسينية شهوانية عندما تراها تنتهك رغبتك الجنسية، تريدك بعنف وبعري كامل، ووضوح شديد، حكى لي القهوجي أنها تزوجت من القهوجي السَّابق، وكانت تعطيه بانجو كثير، وترمادول حتى فني جسده وتركته.

لا أريد العودة لرأسي في الشقة الفارغة، شعرت بشوق لا حنين إليها، ولكني رأيت أحد غواياتي النادرة جنازة فمشيت فيها، أفعالي كلها عندما أخرج أفعال عبثية بلا تنظيم لعدة علل عبثية أيضا. أمشي مع الصدفة وأرى أين تقذفني. لأنّي بلا علاقات مع أحد ربما. أقضي وقتي كله في التفكير والتأمل والتخييل. في البداية كنت أتخيل أنّي أخلق بلا توقف، أكوانا وأدمرها، وأخلق ثانية وهكذا، لم أكن أخلق أبدا آخرا إلا نادرا وبكائنية مختلفة غير الإنسانية.

لا أعرف فعلا ما هو تركيبي؟ جلست على الرصيف في منتصفه. منكمشا عاريًا على بياض نابذ وكاشف بجسدي/ علة فنائي، وروحي مختلطة العذابات، حولي خيالاتي أسامرها، وروح المكان الكئيبة وروح الزمن الآفل تسيطر على وعيي، أين أمضي؟ أين أمضي بين ألحان أنفاسي المتهدجة؟ إلى من أتودد وكياني يتوارى في النفي؟

متى أهدر روحي وحارسها المجاز؟ أنا من حفرت العالم بلغتي ولوني وحفرت قبري معه، قل يا سجني، ما غدك وغدي؟ قل لي يا جدار؟ شيعتي كلي، ماذا تريدي؟ لا شيء بي محفوظ، كله عزفت به للرياح.

أريد أن أصرخ وأنْ أتعرى وأن أكتب وأقرأ ما كتبته بصوت عالٍ، وعيي شديد التعقيد وشديد التعشيق بالمدركات السيئة، عقلي يضطهد قلبي وما أفكر فيه يتضاد مع ما أشعر به، أريد قصة أخرى لحياتي، وسردا آخر، وأسلوبا آخر ولغة أخرى.. ابتعد الناس عني لأن جنوني طازج، ولأن عقولهم راسخة في العرفية في الفعل، كنت أتحدث إلى نفسي وأجري، ما استدعى بعضهم إلى الهمة بطردي ككلب، ولكني ابتعدت وسبقتهم ووقفت على مكان عال، وبدأت في الصراخ:

"أيها الناس، يا أغصان المأساة،

إن حشاي به حقيقة لا يسترها عرف ولا قانون".

وهبطت إلى سقوف المقابر أمشي عليها وأجري وأرقص، قدماي تعاشر الزهور الموضوعة عليها حتى تلونت بألوان كثيرة. في نهاية المقابر كان يرزح النيل، جلست على ضفته مستثقلا فلسفتي في الحياة، محاولا مصالحة أفكاري مع سلطات العالم وقطفت بضعة زهور، كانت تشع بألوانها من ضوء الشمس الخافت ودعكتهم وعجنتهم وطليت بهم جسدي كله.

أهدأ عندما أفعل شيئا مجنونا، أهدأ عندما أشعر بأني مجنون فعلا، أهدأ من رؤية ما في رأسي على أفعالي، الارتطام في الغور مئونة الجنون، والغرق في الإرادة في التكوين. هناك هسيس بكاء

واضح الآن في الأرجاء لا أعلم. قمت وقفت ووجهي عليه نظرة بلهاء وابتسامة غبية. تتبعت الصوت وأذهب هنا وهناك حتى وجدته. أريد أن أتحدث مع أحد، لدي رغبة شديدة في ذلك، حتى وإن لم يكن سيفهم ماذا سأقوله، وجدته في مقبرة مليئة بالبوص.

إن الخارج مليء بالمعجزات كالداخل ومليء باحتمالات، وجدته في كنف هواء دافئ، من الذي تركه هنا يا ترى؟ ربما أمه التي لا تريده، والتي تخاف من عارها التافه، ولا تريد الاعتراف به، الأرض لا تسع أحدًا فعلا، إنَّها فصل من الجحيم مالكوه غيب غير مستقرين على نظام معين، لِمَ أتيت أيها الطفل من المهد للمثوى سريعا؟ من المطلع إلى المخرج؟ من الحضور الأول إلى الغياب الأخير؟ بكلك في قبر إحدى حكر على الموتى، ولكن لا أحد يأتي هنا إلا تجار المخدرات، حملته بحجابه الأبيض إلى المكان الذي كنت فيه، وحممته لأنه كان وسخا بمائه.

شعوري كان مضطربا بشده نحوه، ماذا أفعل به؟ هل أقتله وأحميه من عذابات العالم، أم أخذه وأربيه، ولكني بلا بيت وبلا أي شيء، إنَّها مسئولية، وأنا لا أختار بين الإجباريات المسئولية، ظللت أحدثه إلى أن نام، وأفعل له أمام وجهه أشياء غريبة ليضحك، قلت له "الإنجاب شيء أناني، إضافة إلى متألم جديد، وإضافة لذلك أن من أنجبك تركك، وأنا أريد أن أحميك من شعور اللقيط الذي لا يرحم من أثر العالم والمجتمع الذي يحاك من لا ذنب له في شيء دوما، نحن ضحايا صديقي للناس وللوجود.

ولكي أحاشيك الألم يجب أن أقتلك، الفرق بيني وبينك فقط هو الزمن، ولكني لن أقرر عنك شيئا، ليس من حقي التعدي على حقك في الألم، سأعطيك لدار أيتام، لكي ينبذك المجتمع وتكون من أولاد الحرام، إلَّا أننا كلنا أولاد حرام لأن لا أحد يعرف نسب الوجود كله لمن؟ وسأذهب أنا إلى المهبل المفتوح لي، لا سآخذك إلى الخرابة البعيدة التي أحيا فيها، وأرى من سأسبي أيضا.. من أين أستمد هذا الرفض كله لكل شيء وهذه الحقيقة وهذا العري؟ أنا نفسي لا أفهم مشوشة تصوراتي عن ذاتي وعن الكون. لم أقبل أن أنام مع امرأة تقارب أمي في السن، رغم أني أستطيع ممارسة الجنس مع من هم في مثل سني؟ لم أجد نفسي دوما بين ما هو غريب عن سائد الناس ولكن لا يوجد غريب بالمطلق؟

أجد نفسي وأنتشي، النشوة في جوهرها تعبر عن النهاية، إن لم تكن هي النهاية، إسراف في الظفر باللا نهائي خارج الزمن والمكان، ولكني أعرف أن في نهاية النشوة دوما جفاف للدفء، صحبة للنهائي بعد التداخل مع اللا نهائي وثقل بعد خفة.

لِمَ أتبع مبدأ اللا جهة ومبدأ الهجر عند الوصول لجهة؟ لِمَ مفاهيمي كلها مغايرة لمن حولي؟ أنا إنسان ضوئي في الجنون، أشعر بكره كل شيء لي، وكرهي لكل شيء بوحدة لا تذهب، جسدي يرتعش من الهيروين والعالم يغيم. ابتعدي يا مشهديات الألم، ابتعدي الخلايا تدمّرت، تأكل نفسها، والملاذ هو تدمير الجسد خادم الوجدان، كل الجوانب فيّ مدمرة وكل الأجزاء، لم أبق؟ عيناي بارت وسال بياضها

وسوادها، بعيدا.. بعيدا.. لا نجدة.. زوال يسيطر على كل شيء.. موت سارق الجميع بسواسية.. أشياء تظهر وتختفي.. وأنا كذلك كنت أظهر وأختفي.. والآن سأختفى لا براهين على وجودي ولا في خارجي، لا نور في داخلي ولا في خارجي إنَّه اتجاه العدم الواحد. أقدامي دُمرت من كثرة الذهاب والإياب إليه، سأحشر كياني في الموت وأضيع وحدتي وحضن أمي وهي مغمضة عينيها، صدري مختنق جدًّا الآن، أشعر بثقل في روحي يأخذني لهاوية بعيدة. أشعر بانتهاء كل شيء منذ زمن طويل، فقط ختم الانتحار الباقي، لوهلة أشعر أني لا أحد ولا وجود لي، ولوهلة أشعر أني الكُلّي وأني كل الوجود. ولا معنى يوحي بأي شيء، صمت رهيب في فراغ الرؤية عندما أغمض عيني وأشكال كل شيء تنرفزني. أُريد بياضا فقط، أو سوادا إلى الأبد. لا فجر يأتي ولا فجر رحل يعود. لا أعرف إلى متى سأظل أدرك أني أنتهب، ولا ما الذي يأكل فيّ من باطني حتى وصل إلى القعر الأخير المحض.

عبر من أمامي أستاذ الفلسفة الذي كان يعطيني في المدرسة الثانوية، كان ملهما جدًّا عندما كنت آملا في العالم بشكل لا نهائي، كان يعطيني كتبا، وربما هذا ما أفادني في شدة تركيز وعيي، أني اطلعت على فلسفات الأمل في الأديان وفلسفات الأمل من الناس وانقلبت عليها كلها. كانت لدي رغبة في أسره في الخرابة، الذي أحيا بها وبالفعل أسرته، استدرجته لم يتعرف عليّ في البداية، وأغويته بأن هناك مكتبة في بيت بعيد نريد أن نحضرها، وبالفعل اقتنع من وراء إدراكه السابق لهويتي كإنسان طبيعي ومحبوب. أول ما دخل الخرابة خبطته

على رأسه فأغمى عليه وقيدته وانتظرت إلى أن يستيقظ لننعم بحديث شيق بدلا عن هذا الطفل المقرف.

- هل تظن أنك خيِر؟ إنك مفعول الصدف المكونة فقط، وأنا أيضا مفعول الصدف المكونة ولكن للشر، بتجريد نحن عبيد لمن خلق، عبيد لغاية ملعونة فكاهية لا أحد يعلمها، أنت مفلس الهوية يا ابن الأبعاد والحدود، هل تخاف أن أقتلك؟

- لا لست خائفا ولا أعتبرك مجنونا، في رأسك جمر ولكنك تكره ذلك، هذه ليست هويتك.

- هل ستخبرني بهويتي وتعلمني إياها؟

- تريد أن تقتلني اقتلني، لست خائفا، ولكنك تشعر بشيء لا زال فيك.

- قتلت من قبل، وشعرت بتحرر جزئي فيّ، وأريد أن أقتل الجميع لأتحرر.

- بماذا شعرت؟ بضياع أكثر، بازدحام الرغبة في الهرب ولكن إلى أين؟ إنه عالم واحد وما وراء واحد، لم وصلت إلى هذه النقطة بك، ولم تصل إلى كل النقاط؟ اخرج من عماك السيء، اُطْفُ وطر.

- لِمَ أطفو وأطير؟

- ستعرف هذا، اللُّغة لا تعبر عما ستعرفه.

- لا أومن سوى باللُّغة

- إذا لم تقع في وجد أحدٍ سابقًا.

- اخرس أيها الطفل المقزز

- أطعمه ليخرس.

- هل أقتله، إنه ينرفزني جدًّا، ينتهك نشوة الصمت في الخرابة، أريد أن أحصل على رجحان واحد من داخلي بأي فعل، ليس هذا التردد البشع، رغم أن كل الأفعال واحدة، عبث بنفس الامتياز والعيب، هل أجسد غضب التطرف للإلهة المتناقض كل شيء فيهم، والانفلات في مدى الممكن، ماذا يقودني؟!

صرخت-أريد نسمة باردة وصمت، النسمة الباردة تعطي معاني لوجداني، والصمت يشعرني بغيابي. أحيانا أشعر أني قادر على كل شيء، ولي قدرة المطلق، وأحيانا يكتفني النفي وينفيني، رغم أني من نثرته فيّ، ويقحم إراداتي وسنابل ما أريد في الموات العابر بي، أحيانا أحاول الانتحار لأعبر ذاتي، لأعبر نهائيتي إلى اللا نهائية، وأحيا وسط حشود الأرواح المستأصلة أجسادها، وسط مبتوري القانون الفيزيائي والبعدي والحدودي، عدم وجود شواطئ لي يجعلني أكشط الأوان كله إلى الفراغ المحيط، الكيان الإنساني لا يكتمل عرش الذات، إلا بالتجارب المتطرفة، والتبذير العقلي على النفي الجبار، تجميع الفيوض كلها نحو مفهوم الموت، تجميع الإرادات التي لا تجتمع إلا له، نثر الهندسيات واللا هندسيات له.

مَن أنا؟ ما الكون؟ جيفة صغيرة في جيفة كبيرة، وتدبير عبث هو كل شيء، أنا مجموعة لا نهائية من النهائيات عندما أكون واقعيًّا، أنا كهف في كهف في كهف... غابة في غابة في غابة... نهائيات في لا نهائيات.. أكوان في ذرات.. إشارات في إشارات في إشارات.. رموز

في رموز في رموز... نقطة واحدة وعدة نقاط... فريسة في نفس جلاد.
بي جدل اللقيط مع الهوية، وصراع المهرة مع الأرض اللا ممهدة،
حاربت كل الجدر والأسقف، الممكن ملثم بالعدم دوما.

الخَلاصُ مِن الشّاعرية بالشرّ

لم يكن البيت معروفا بالنسبة إلى أهل الحي على أنه بيت دعارة، اختار القواد عمارة بها أطباء لكي لا يلحظ أحدٌ دخول وخروج أناس كثيرة منه، الزوار كانوا يأتون من كل مكان، وكان من السهل أن يعمل البيت بتفوق بسبب الكبت الجنسي الموجود في المجتمع، الشباب من لم يجرب الجنس من قبل، والرجال المتزوجون لأنهم لا يستطيعون فعل كل شيء في خياله مع زوجته، ولتغيير الجسد الذي يضاجعه، الشقة كانت مليئة بالعاهرات والمثليين، وكان من يدخل يختار من بينهم، من ينام معه أو معها، خمسة عاهرات وزوجة القواد وابنته وابنه، أهم شيء عند القواد كان الحصول على المال بشتى الطرق، لم يكن البيت مخصص للعاهرات فقط بل للمثليين، من يريد أن يضاجعه أحدٌ، ولا يجد في واقعه أو يخاف من معرفة أحد ميوله الجنسية، وكذلك السحاقيات، ولكن لم تكن كل العاهرات تمارس السحاق.

كان صاحب العمارة يأخذ الإيجار ليالي مع العاهرات والبواب الذي كان يأتي برجال كثيرة ومحصل الكهرباء، كانوا يدفعون كل شيء بالجنس، واختاروا هذه العمارة لأنَّ بها أطباء كثيرين، فالدخول والخروج إليها سيكون سهلًا، ولن يشك أحدٌ في أي شيء، ومِن سيأتي

إلى البيت لن يقول إلا للمقربين جدًّا منه، لهذا لن يشي أحدٌ بهم، لأنه إن وشى لن يستطيع ممارسة الجنس ثانية معهم.

أول مرة ذهبت كان عن طريق صديق يعمل في المحارة، ظل يقول لي إنَّ الأمر ممتع جدًّا، وأنه يعمل ويأخذ المال كل أسبوع ليذهب إلى أي بيت دعارة، كان يقولها بشهوة "هناك الجنة والحور العين، إن ذهبت اختر بنتا اسمها أميرة، نمت أنا معها، سيعجبك الأمر جدًّا".

كنت مكبوتا، مداوما على رؤية أفلام الجنس، ثائر الجسد، مفرط الاستمناء، شديد السخط على المجتمع وأعرافه وتقاليده، مدرك لكل باطنه الذي يفعل به الناس كل شيء محرم في الظاهر. الكبت الجنسي والفلسفي والتعبيري.. إلخ، يدمر كل الجمالي الموجود في الإنسان، يدمر تذوقه حتى للجمالي، ويدمر أي نشوة ممكن يشعر بها الإنسان وربما يدخل في اكتئاب، ويجعله يزهد في حريته حتى.

لا أُومن بأي سلطة مجتمعية أو ما ورائية أو دينية، إنها سلطة العبث الجبرية والقذف الذاتي في التجارب الحسية والباطنية، سواء كانت محرمة أم لا من جهة المجتمع أو الأخلاق السائدة والقيم، بدون خوف وبدون تردد، لم أشعر بوجود أي محرم أو أي مقدس منذ ولدت، المحرم والمقدس والخوف منهم صناعة المجتمع والدين، والثورة عليهم بسيطة فقط تحتاج إلى شجاعة من معنى الحرية المتوقة.

ذهبت أكثر من مرة، وعرفت هناك كل أنواع المخدرات، كانت متوفرة بسهولة، لأن بعضها يساعد على الجنس كالحشيش، ويجعله أكثر إثارة، عندما دخلت البيت أول مرة كان في الشتاء والليلة، كانت بمائتي

جنيه مع سيجارة حشيش وكأس ويسكي، الأربع غرف مؤصدة والأريكة عليها زوجة القواد نائمة شبه عارية تماما، وأنا جالس هناك وجدت رجالا عرايا ونساء، من كان متاحا ثلاث نساء، جميعهن يلبسن قمصان نوم شفافة، على اليمين كانت ناصعة البياض وشفتاها عظيمة بعض الشيء وسمينة قليلا، حيث تظهر ترهلات على وجهها، وما يظهر من أسفل ظهرها وقميص النوم أدخلته بين ردفيها، شعرها طويل وأخذت تبعث لي قبلا في الهواء، والتي على اليسار كانت فتاة وجهها صغير، تظهر عليه طلاقة التوق للجنس، ترفع حامل قميص النوم كلما نظرت لها وتبتسم لي، يبدو عليها الطيبة الشديدة والطفولة، أظنها في بداية العشرينات، أما من هي في المنتصف كان شعرها مقصوصا كثيرا وشفتيها كأنهما مرسومتان في لوحة، سمراء، عيونها سوداء داكنة، أنفها صغير، نظرتها شاردة في وفي ما ورائي، لديها وشم على رقبتها، لم ألاحظه ولكنه تقريبا لملاك أو شيطان، ثلاثينية، نحيفة ولكن ليس كثيرا، حلمتاها يظهران من خلف القميص، كأنها حيتان، ولكني شعرت أنها محاصرة، كلما وضعت عيني بعينها لا ترمش، وكنت أطيل التحديق في عيونها لا في جسدها، عيونها بها دموع مختفية وأسئلة عني، وفكرت في لحظة أن الإنسان مكون من مخيلة وجسد وروح وذهن، هناك لكل شيء منهم تعبير، اللُّغة تعبر عنهم كلهم، والعيون تعبر عن جزء مني، وجزء من شعوري والمادة المخلوقة منها، عيونها كانت تفعل ذلك، لديها أسئلة مظلمة الهوية، وخاشعة جدًّا لي بهدوء، صمت كل شيء وأنا أنظر في عيونها، شعرت أنها طوقت شهوتي وأنها غريبة مثلي، ردفاها كان كطين إلهي قبل الخلق،

لم يدعكهما أحدٌ، رغم أنَّها بالتأكيد نامت مع الكثير، ونهديها حقائب لبن الشيطان، لا تستر أسنانها، ولكنها غير بيضاء جدًّا كأنَّها تدخن، تقاسيم وجهها به حدة وغضب وتعجرف، ساقيها كضفتي نهر، عيناها مغشية في التأمل، يتحدث البؤبؤ فيهما عن هويتي، عن سِفري وسَفري الضائعين في الحياة، أردت أن أحكي معها وأكتب عنها، أن أستنطقها عن هويتي، طرقت بابها بعيوني وهززت وعيي وحروفي في مخيلتي وشردت، أن أعبر فيها وبها إلى خبثي ودمامتي، أن الجنس جسر مباشر إلى مكبوت النفس كلها ليس فقط المكبوت الجنسي..

قال لي القواد اختر منهم، وكل واحدة بسعر، والمثلية أعلى سعر من الجنس العادي، من سعرها عال كانت مطلوبة جدًّا من كل من يأتي للدار ولديها مهارة في الجنس، وهذه العاهرات المطلوبة يذهبون إلى دور دعارة أخرى مع دفع مال كثير للقواد، هو يصدر لدور الدعارة التي يرتادها الأغنياء، وبدأ القواد في قول أسمائهم لي، التي على اليمين اسمها آية، والتي على اليسار اسمها شيرين، والتي في المنتصف اسمها ماريانا، ولكن كل من في الدار يستعمل أسماء حركية، لا أحد يعرف من أين هم أو ما هويتهم، يدورون لكي أستطيع رؤية جسدهم كله، ولكن ماريانا لم تكن تدور، قال لي القواد بينما كنت حيرانًا إن كانت أول مرة لك فخذ شيرين لأنها صغيرة وتستطيع المجاراة معك، أما ماريانا فمتمرسة جدًّا، أو خذ أي غلام من هؤلاء أن كنت مثليا سيعرفون كيف يثيروك، وبما أن هذه أول مرة لك فلن يفرق معك جسد رجل أو امرأة، كنت مثارا وأنا واقف، وقضيبي منتصب من رؤيتها، لم أجب وظللت

أفكر وأنظر لهم، لم أكن خائفا ولكن كنت مبهورا بهذا البيت الغريب عن كل ما رأيته في المجتمع، الجنس هو كل شيء عندهم وكل شيء يريدوه ويرجوه، نظرت إلي ماريانا، ومشت إليَّ على أطراف أصابعها، وشدت يدي وقالت سينام معي، ارتعشت حينها ولم أقو على مقاومتها، دخلنا إلى غرفة، وأغلقت الباب علينا وقالت: رأيت كثيرين مثلك، ولكن لم أر أحدهم لديه نظرات حادة كالتي لديك.

قلت: سيكون الأمر شيقا معك.

لم أكن أريد الحديث طويلا، ولا معرفة اسمها، ولا أي شيء من ذلك، كنت فقط أريد أن أتأملها، هذا الجسد الشهي المتوهج بالرغبة الذي لا يأفل أبدا، وسبب ذهابي هو أني كنت أريد الهروب من الكآبة والوهن الفكري إلى عالم بدائي لا يوجد تفكير فيه ولا أي شيء، ولكن لم أنجح هكذا دائما التفكير لعنة بالنسبة لي، شردت للحظة، وبدأت في النظر إلى الفراش، كان أبيضا كأنه مكان لنزول الملائكة، إن شهوتي تزداد لأن آني الشاعري يمتد حيث آني أعري المعاني بلطف ورقة، وأحيانا بعنف، وها أنا أعري جزيرتي القادمة للحياة، أصابعي كانت عرقة وخفت أنْ أفتح أقفال ملابسها الوهمية كلها، فيتجلى عريها فجأة أمامي، ويؤلمني ذلك العري، أكثر مما يؤلمني الاحتجاب.

فقالت: أين ذهبت؟ هذا الفراش خضع عليه كل الرجال،

فلم أقل شيئا، فقالت: أول مرة لك ستكون وحشيا ومتعجرفا، لأن كبتك على مدار السنوات سيتحرر فجأة في ساعة كاملة وخيالاتك الجنسية عمن حولك، لن تُفرق، فقط ستريد الولوج وتنفيذ ما رأيته في الأفلام الإباحية.

بدأت في لف سيجارة حشيش وأعطتني حبة فياجرا، وقالت هذا سيساعدك لأنك بالتأكيد تستمني كثيرا، سأعريك أنا أحب ذلك جدًّا، أشعر حينها عندما أعري أحدًا أن شهوتي تزداد أكثر.

اقتربت، لم أتحرك من مكاني، كنت فقط أنظر في عيونها، كنت أشعر بأني أكتشف أفقا فيَّ وهو جسدي وشهوته وتخاطره مع جسد آخر متمرس في فنونه، هي من تكتشف جسدي، تكتشفه وتعطيني النتيجة.

عرتني وتركتها ببساطة لأني نسيت أن أعريها من فرط الدهشة في رؤيتها، كنت أريدها أن تلمسني أن تفك أزرار بؤسي وانغلاقي، قبلت شفاهي وقالت أنا لا أفعل ذلك مع أحد، لا أقبل أبدا لأنهم لا يهتمون لذلك، يريدون نهدي ودبري ومهبلي.

فقلت لها بصوت خفيض: أنا أريدك كلك، ليس جسدك فقط.

وبدأت في تقبيل جسدها ووضع قبلة في كل مكان وشعرت أنها أُثيرَت، كان نفسها ساخن ولسانها كلساني كان مليئًا بالدخان.

قلت لها: أريد أن نتحدث أولا

قالت: كلام جنسي؟

قلت: لا

فقالت: غير مسموح لي الحديث مع أحد ولا معرفة هويتي الحقيقية، ليس متاحا لي سوى الجنس، أن أردت أقول لك كلاما جنسيًّا لكي تثار أكثر.

قلت: لا أريد أن أعرف هويتك ولكن أريد أن أعرف متى بدأتي ذلك؟

ابتعدت وشدتني على السرير ونامت على كتفي وقالت: منذ مدة طويلة جدًّا، تقريبا منذ خلقت، أنا أحب الجنس وذهبت للبيت بكامل إرادتي، تركت أهلي في مكان بعيد، وتنقلت بين بيوت كثيرة، الجنس يعطيني قوة نفسية، أريد كل الرجال أن يكونوا في، هذا يثير كل شيء بي.

قبلت نهدي ومصت حلمتي ومشت لسانها على بطني، فقلت لها: أنا غيرك، الجسد جزء مني، ولكن ليس هو كل شيء، هناك العقل والروح والمخيلة.

فقالت: كله يثار في الجنس، أحيانا أضيق من ذلك، ولكني في كل الأحوال عاهرة، أحب عُهْري، أحب أن يلجني الجميع ويشتهوني، لكني لا أعطي جسدي للجميع كما تظن، الجنس ليس معناه إعطاء كينونتي كلها لمن ينام معي، هناك أماكن بي لا يدخلها أحد، وهناك تفاصيل في الجنس لا أفعلها مع أي أحد نهائيا.

قلت لها: أنا لا أريد جسدك فقط، أريد كل شيء بك، كل أسرارك، كل أماكنك المعتمة المختبئة.

قمت من مكاني ونمت على الأرض، وظللت أتدحرج وقمت ببعض الرقص البوذي، كنت أسمع أصداء تأوهات رجال ونساء خارجا، فالقواد ينام مع زوجته في الصالة كل يوم في نفس الميعاد.

قالت: لا يتحدث أحدٌ معي في شيء، كل ما أفعله هو النوم والجنس والأكل وأحيانا أخرج للتمشي وأنام مع الشحاذين في

العمارات الفارغة، لم أجد أي متعة في أي شيء سوى الجنس، لا في المال ولا في الزواج ولا في أي شيء.

لا زالت نائمة على السرير عارية، ولكنها نامت على بطنها، أصدرت صوت تأوهات وقالت لي: يجب أن أفعل ذلك لكي يسمعوا خارجا الصوت.

قمت ومشيت يدي على جسدها وفركته وقلت لها: أنا اكتفيت هكذا، مرة أخرى سأنام معك ولكني لا أعرف متى، نظرت إلى بتعجب شديد فقلت لها: سأكتب على ظهرك قصيدة لي وامحيها عندما أرحل.

أحضرت قلما كان في حقيبتي وبدأت في الكتابة على ظهرها ولما انتهيت بدأت أضع أصبعي على مهبلها وأقول "هذا بيت الشياطين"، وعلى دبرها "هذا بيت الله"، وعلى فمها "هذا بيتي أنا"، وهي غارقة في الضحك، صنعت دائرة على كل من دبرها ومهبلها وفمها، كنت مثارا ولكن لم أكن أريد ممارسة الجنس، كان الأمر غريبا فنقل الخيال الجنسي الذي لدي إلى واقع فعلي يكون الأمر مختلفا، كنت أحاول أن أقدم الممارسة حتى أعرفها أكثر، السيطرة على شهوتي شديدة الصعوبة لأنها شهية جدًّا، لم أشتهِ شيئا من قبل هكذا، ولم أشعر بتحرر من قبل هكذا، كل أجنحتي مفتوحة، كل آفاقي مشدوهة، كل جروحي مضمدة، العذابات الوجودية قد ذهبت في لحظة فابتسمت من سخرية ذلك، هجرتي من كل شيء قد اندثرت وعدت إلي مرة ثانية، ولكني لم أسلم من التفكير بعد إفراغ الشهوة كيف سيكون شعوري وفكري.

لم تقل للقواد أني لم أنم معها ووعدتها أن آتي ثانية، والمرة القادمة سأنام معها، القواد لا زال نائما مع زوجته فهم أكثر من يطول في الجنس في الشقة كلها، وهناك رجل يضاجع غلام على الأرض والغلام يتأوه بشدة.

أخذت رقمها، وقالت سأحدثك عندما أكون غير مشغولة أو عندما أخرج للتمشي، فابتسمت لها وقبلتها قبلة طويلة ورحلت، ظللت أفكر في أهمية وجود هذه البيوت في المجتمع، لتخفيف الأمراض النفسية التي تأتي من الكبت الجنسي، لأنها تحرر الكثير من الغضب والضغط النفسي على الناس، يدخل في ذلك حرية الرجل أو المرأة في ممارسة ما يشاء في الجنس من الغرابة.

شعرت برغبة كبيرة في الكتابة، فذهبت لأجلس على النيل، لأسترجع ماذا حدث ولأكتب، لكن لا أعرف ما الذي كان سيخرج، فالكبت الجنسي يستهلك الطاقة الإبداعية عند الإنسان ويجعله يتخيل فقط النساء أو الرجال كجنس في مخيلته فلا تعمل إلا في ذلك.

ولكني كتبت "اكسريني، اكسري عقلي وأفكاري، لا أريد أن أفكر في أي شيء، افعلي كل غريب تتخيليه معي، اخرجي من جسدي شهوته الدافئة واحرقي الكآبة ليسيل دمها الأسود على الفراش، لبنكِ أريده يكسوني ويشربني ويغمدني بألقه وطعمه ونكهته، أريدني بلا عقل حيوان فقط بدون أي حدود للشهوة. أريد أن أتخلص من نفسي في الجنس، أن أفنى في جسدكِ، أن أصرخ بأعلى صوتي لكي تكون صرختي سكاكين في جسد الجدران القميئة التي أكرهها، والتي تقيدني

وتلزمني بالقمع وبالشعور به، أكره كل الجدران، كل السجون وكل المسجونين وكل السجانين.

اخنقيني إلى أن تصعد روحي، لجيني بيديك، ضاجعيني كما أضاجعكِ، أريد ارتطاما لا نهائي بيني وبينك، لتضيع حدود الذكورة والأنوثة بيننا، أريد وهجا من تلاحمنا، غرق في اللا حجم واللا كتلة. أنا فريستكِ وأنتِ جلادي، أنتِ فريستي وأنا جلادك. لننهض من الفراش بحياة جديدة، لتسقط المخازي والهزائم والمجتمع والوجود بين قضيبي ومهبلك، لندهسهم بيننا، انتهزي جسدي. لقد باعنا كل شيء للهباء، لقد أحرقنا كل شيء، ولم يسعفنا أي إله أو أي إنسان بالمناجاة أو بالصمت، الفلاسفة خائبون جنوا في اللُّغة والأفكار والأنبياء مضاجعين جيدين فقط والشعراء زواني المخيلة، ورجال الدين مزورين الحقيقة التافهة والعسكريين سجانين الموجود والمجرد"...

حدثتني بعدها بيومين، كانت مثارة، قالت إنها مارست العادة السرية لأول مرة وأنا في مخيلتها، فقلت لها أنا أيضا استمنيت وتخيلتك معي، قالت سأمارسها الآن وأفتح الصوت لتسمع تأوهاتي، تأوهاتها كانت غريبة وغير منطقية أما أنا فكنت هادئًا جدًّا.

بعد ذلك لم أعد أثار إلا بها، كانت كل محاولات استمنائي وهي في مخيلتي، لم أعد أشتهي هذه البنات معي في الجامعة الذي النوم معهم سهل، فجسد العذراء جسد بدون أسئلة، تصرخ فيه الشهوة الأولى فترتعد منها، من هذه الرغبة الشديدة، ولادة الشهوة لأول مرة والشعور بها كالعذري من الرجال أيضا، يكون الأمر غير عميق، ولم

يُستفت فيه العقل والاثنان يريدان تنفيس هذه الرغبة التي لا يعرفون كيف يقاوموها كمشهد آدم حسب الميثولوجيا.

كلمتني بعد أيام من رقم غير رقمها، وقالت إنها ستنزل للتمشي، فقلت لها سآتي معك، ونزلت قبلها، وانتظرتها في الشارع المجاور، لكي تتأكد أنه لا أحد يمشى ورائها وتمشينا قليلا، كانت مختلفة عن المرأة التي رأيتها في البيت، كانت تفكر في لم هي تفعل ذلك؟ ولم أنا أهتم بعاهرة وبدأت في الحديث، كنت أنا صامت جدًّا.

وقالت: لم أنا أفعل ذلك؟ كل حياتي جنس، لم أنت تهتم بي وأنا في النهاية عاهرة يعني أحط شيء في المجتمع، اهتم ببنت في مثل سنك وتزوجها، أنت تعلم كما أني أعلم أني لن أتوقف عما أفعل، وأنا أكبر منك في السن.

فقلت لها: لا أهتم بالسن في شيء، أنت شخص مميز في حياتي، لا أحتمل هذه البنات التافهة من هم في مثل عمري، ممكن أعمل كل يوم علاقة مع بنت وأنام معها، ولكنى أشبهك لهذا أمشي معك الآن، وأيضا أجسادهم لم تستو، وليس الأمر يتعلق بالجمال، فلا يثيرني أي أحد، لا يثيروني البيض ولا يثيروني الصغار إلا نادرا جدًّا، لا أحب الجسد المرتخي، النهد السائب الذي حلمته تائهة فيه وغير ظاهرة، أحب الجسد المشدود، الذي به أسرار، الذي لا يغوص في يدي عندما أدعكه أو أضغط أظافري فيه، الذي يحب شهوته وله علاقة معها، ولا يوجد فصول لها فيها، هو دائم الشهوة، الكافر بالسكون، الذي ينمو تحت جسدي وفوقه، الذي يأخذ من شهوتي وأخذ من شهوته.

ونظرت لها بتمعن فتوقفت، وتوقفت أنا أيضا، لم أرفع عيني من عينيها، ولم تكن نظرة شهوة فقالت لي: توقف عن النظر في عيوني، لا أحب ذلك، لم أتعر أمام أحد من قبل، وأقصد بالتعري ما في قلبي وعقلي.

فتوقفت ونظرت أمامي وبدأنا في المشي ثانية، وقلت لها: هيا نذهب للنيل، فأومت بالقبول وذهبنا، قفزنا من على السور، لم يكن هناك أي أحد غيرنا وبدأت في الحديث عنها، عن شعوري نحوها: أنت تشبهي الغواية نفسها، ولست مغوية فقط في الجنس، بل في تلاوة الغرابة في كل نظرة لك، في كل نبرة صوت، حركاتك غير المتوقعة.

فبدأت في خلع ملابسها وعرتني، ولم أكن خائفا أو مضطربا، وظلت تتأمل في جسدي وأغمضت عيونها وقالت: أنا أخذك الآن إلى داخلي لكي أتأملك.

- هل تفعلي ذلك دوما مع الرجال؟

-لا، وبعد ثواني قالت: صفني.

فبدأت في وصفها: جسدك فائر الآن، ولكنه مستسلم للشهوة، من بؤبؤ عينيك تخرج أمومة ومجاراة لكبتك، أشم رائحة عرق الآخرين على جسدك وصهد حار من جلدك، جسد يخبئ الكثير من الأسرار.

فقالت: يتحرر جزء منه كلما مارست الجنس لكن هذه الأسرار تتخلق دوما.

فقلت: عيونك تشبه وطن الهاربين من المجتمع.

- أسأل دوما لم أنا هكذا؟ ولا أجد إجابة، ممكن أهرب في أي وقت، ولكن لا أعرف إلى أين، لأني امرأة العتمة فقط، لا امرأة النور.

فقبلتها وهي مغمضة عيونها، وأنا أغمضت عيوني وأنا أقبلها، قبلتها مفزوعة وغير كاملة، أريد أن أمتص روحها في القبلة، فالروح في الجنس تكون في الشفاه، في هذه اللحظة كل أفكاري انمحت، تأملتها كثيرا، وبدأنا في ممارسة الجنس، مشيت يدي على بطنها، كانت ترتعش بشدة حتى وصلت إلى نهدها الأيمن ودعكته، وهي ساكنة، ومصصت حلمتها، ومشيت يدي على رقبتها وكدت أخنقها، أعطيت جسدها لي أفعل به ما أشاء، بدأت في تمسيد معالم وجهها، وهي ترفع وجهها كأنها ستصل إلى شيء في الأعلى، ثابتا كنت وشعرت أن وجهها مرآة لشهوتها يظهر كل شيء بها، الشهوة المدلوقة به وعذابها الوجودي، كانت شفيفة وعارية ولا أقصد عارية الجسد فقط، بل عارية الحلم وكل شيء بها عارٍ، سيقانها كانوا يكبتون مهبلها من الانفتاح والانغلاق، وهي تضمهم لكي يكون الأمر أكثر إثارة بالنسبة لها، حضنتني حتى تلامست حلمتيها مع حلمتي، وشدت على جسدي بقوة ومسحت على وجههي بيديها، واقتربت بشدة من وجهي، وأخذت تنظر في عيوني، كانت تحاول أن تجد مشاعرا بي لها، أي مشاعر، ليس بالضروري الحب، رموشها كانت ترتعش، تغلق عيونها وتفتحها وتحاول قمع الدموع التي ستهبط، دعكت وجهها في شعري ودعكت رؤيتها لي في روحي كما لم يدعكها أحدٌ مِن قبل، عندها انسدلت مني كل الشهوات البدائية الغريزية، شهوة الجسد وشهوة الامتلاك الذكوري، رغم محاولاتي الشديدة مع نفسي ألَّا أمتلكها، لأني

أعلم أني لست لها وأنها ليست لي، بدأنا في أخذ القبل طويلًا، مرة أقبل الشفة السفلية، ومرة أقبل الشفة العلوية، وتتلامس ألسنتنا، كنت أحاول أنْ أدخل هذا اللسان الصامت دائمًا إلى لسانها الخرب، وأَخذتها على ساقي حتى ولجتها ببطء، وبدأت هي في الاهتزاز، كان هناك ضوء بسيط من القمر، وبدأت في التأوه، تأوهها كان ساحرًا، يهزأ بأي صوت آخر حتى صوت سريان الماء في النيل، سيطر الصوت على أذني تماما، لم أكن أعلم أن المادة وهي جسدي، لها هذا الزهو وهذه النشوة الرهيبة، دخولي إليها كان يشبه لقاء مادة أخرى، لقاء المادة في الوجود كله، ولكن هذه المرة المادة لها وعي وشهوة وأقصد بالمادة جسدي وجسدها، الموسيقى المنخفضة جدًّا من حفيف تلامس جسدانا، موسيقى مندثرة ولكني كنت أسمعها، عندما تحف ساقيها بساقي وهي ترتفع وتنخفض، دعكت كثيرا حلمتيها في صدري.

وعندما وصلت للأورجازم هبطت دموع من عينها، وصرخت في القبلة التي تخاطرت مع الأورجازم، ولكن الصوت لم يكن عاليا، لأنَّ شفتيها كانت في شفتي، وبدأت في التحدث لي: دائما لدي ظمأ لا ينتهي للجنس، ربما في اليوم أنام مع ثلاثة رجال وأمارس العادة السرية أكثر من مرة، والعادة السرية عندي أفضل من الجنس، لأني أتخيل الشيطان معي ليس أي بشر، أمي كانت تقول دائما أني ممسوسة.

لم أستغرب وقلت لها: كيف هو الشيطان في رأسك؟

قالت: لم أقل هذا لأي أحد من قبل وهذه الأسرار أغلى عندي من جسدي، الشيطان في رأسي كائن شديد السواد ولديه قضيب قوي طويل.

فقلت لها: لم الشيطان؟

قالت: لأني أحتقر كل الرجال ودائما ممارستي معهم لا أعطي جسدي كله لهم، لا أروي شهوتي بل هو يرتوي، لا بد أن أترك شيئا لا أفعله معهم، لا أصل إلى الأورجازم إلا قليلا جدًّا، مهبلي من كثرة الجنس أصبح فاترا وأهم شيء هي حوافه في الولوج، الاهتزاز فيه، لا بد أنْ أُثَار ليس من جسد الآخر فقط، بل من نظراته، وتخيل تأوهه، ولكن كل من يأتي يكون قضيبه منتصبا، ويريد إفراغ منيه فقط، الجنس أصبح لدي كأي شيء، ممكن أكل وأنا أمارسه أو أدخن، فقط أزيف تأوهات للرجل الذي معي لكي يشعر بسطوته علي.

فقلت لها: والجنس معي؟

فصمتت وقالت: سأرحل الآن وحدي، لا تأتي معي، البس ملابسك.

لم أكن على وعي أني عارٍ وأنها عارية، ولم أكن خائفا من أن يرانا أحدٌ أبدا فلبست باضطراب ملابسها، ورحلت وأنا بقيت أفكر.

لم تثرني فقط جنسيا، بل ثارت كل شيء بي، تحرر جزء كبير من غضبي عليّ وعلى الوجود وقوانينه، كأنها أشعلت حريقا في كل أفكاري ومشاعري وخيالاتي، كل شيء بي الآن يسأل ولا يجد أي إجابة.

المهارة في الجنس ليس فقط جمال الجسد وإثارته، ممكن يكون الجسد جميلا ولا يكون مثيرا، الأمر في الانسياب ومعرفة متى أريد منها، والتخاطر بين الجسدين في تبادل نقاط أورجازم صغرى معا في

الوقت نفسه، قد تكون هناك عملية جنسية، ولا يكون بها نقاط أورجازم صغرى، الإثارة في وقت واحد، وحدوث نقطة أورجازم صغرى، تجعل الجسدين مشرئبين إلى هذه اللحظة ثانية، فتتركز بدقة على ما يريد الآخر منه أن يفعله في جسده أو يلمسه أو يقبله أو يقوله... إلخ، تحدث في النهاية بعد أكثر من نقطة أورجازم صغرى الأورجازم الأكبر وهو العيد بالنسبة للجنس.

ذهبت للبيت، نمت فورا وحلمت بما قالته لي بالشيطان، وهو يضاجعها وحوله شياطين أخرى، أَنَا مسلسل أمامها ولا أستطيع الصراخ أو التحدث، كان يمتطيها بعنف، ينزل دم من مهبلها ويضربها بشدة، المشهد كان ضبابيا وعيونها عليها عصابة، وفي النهاية انقطع قضيب الشيطان في مهبلها فجرى بعيدًا، واستيقظت ولكني لم أستطع أن أحدثها لأحكي لها الحلم.

الاستمناء حتى اختلف عندي من الاستمناء، وهي في مخيلتي عن الاستمناء وأحد آخر في مخيلتي، طوال استمنائي المنقضي كنت أحبط بعد الاستمناء، وتأتي كآبة رهيبة بعدها، أما بعد استمناء، وهي في مخيلتي أشعر برح وزهو، الاستمناء محاولة لوجود آخر بي أيضا، فكرة المشاركة وأحيانا العزلة مع الآخر في المخيلة.

كان الأمر عقليا ينغصني أني، لأَنَّها هذه أول مرة لي في الجنس، فبالطبع سأظن أني أحبها، بينما هي لا، لأَنَّها مارست الجنس كثيرا، فأول علاقة جنسية تتم بين طرفين يظنوا أنهم يحبون بعضا بسبب الكبت، هي كانت خارج هذه الفكرة أم أنا لا.

رحلت لأول مرة وهي مضطربة وخائفة مما هو قادم، لم تنم مع أحدٍ بهذه الطريقة من قبل، هذا جنس مختلف، لم تعط فقط جسدها له، بل أعطت كل كينونتها، تظن أنها لم تعد تحمل أي مشاعر لأي أحد، ولكنها كانت مخطئة فرغم أن الجسد قد زاره الكثير الكثير، ولكن مشاعرها لم يلمسها أحدٌ، لم يدخل إليها أحدٌ، ويحدثها في وجودها ذاته، لم يحيا أحدٌ في وجودها، حيوا في جسدها فقط واشتهوه، لم يشتهوا أي شيء آخر بها غير جسدها، هذا إغراء بالنسبة لها لا تعرف عنه أي شيء، تظن أن الرجال كلهم سواء، لا يهمهم شيئا سوى الجنس، يتزوجون ليمارسوا الجنس، ويأتون بالمال ليمارسوا الجنس، ولكنها وجدت أحدا لا يريد ذلك، لهذا شعرت بحنق داخلي أن يخذلها هو، ويريد أفكارها ومشاعرها ليس جسدها فقط، جسدها فقط جزء مما يريده وليس كل شيء.

اصطدمت أمام ذلك، ولم تستطع ممارسة الجنس في اليوم التالي، ادعت المرض ولكنها بقيت في البيت تراهم وهم يتضاجعون، كانت تنتقل من غرفة إلى أخرى، لم تكن أي عملية جنسية للعاهرات الأخرى تشبه جنسها الليلة الفائتة، كانت تراهم فقط حيوانات تلج بعض بدون أي عاطفة، واستغربت أنها منذ بدأت الأمر لم تشعر بأي عاطفة تجاه أي أحد مارس معها الجنس، ولو حتى مارسته معه أكثر من مرة، ولكن من مرة واحدة فقط شعرت بأشياء عربية حقيقية تتكون وتتخلق بها، استعادت كل شيء حدث، ونامت منطوية على السرير عارية، تمشي يديها على جسدها كما كان يفعل.

قالت في نفسها "شهوة الحب أعظم من شهوة الجسد"، ظلت تفكر طوال النهار والليل في ذلك، وفي آخر الليلة قالت إنها تريد أن تمارس الجنس مع رجل، فأخذته وجعلته يضاجعها بعنف لكي تختفي هذه الأشياء التي في رأسها، شعرت بتقزز لأول مرة من الجنس وصرخت في وجهه، وقالت إنَّها لا تريد، وحدثت مشاجرة لأنَّه دفع مالا، والقواد قال لها إنها يجب أن تمارس الجنس معه فحلت الأمر عاهرة أخرى، وقالت سأنام معه أنا، كان رجلا سمينا وشاربه طويل وقضيبه صغير، عاد بعد أيام وقال إنه يريد مضاجعتها هي بالذات وأخذها إلى الغرفة، وقال لها إنه يريد أن يتزوجها لتكون له فقط، هذه ليست أول مرة يعرض عليها أحدٌ الزواج، ولكنها لم توافق على ذلك فبكى الرجل وركع، وكم يركع الرجال لأجل شهوة جسدهم! وحكى لها عن الجنس بينه وبين زوجته، وأنه لا يستمتع به إطلاقا، وأنه لا يستطيع فعل كل شيء يريده مع زوجته فيأتي ليفعله هنا، وأنه يمارس الجنس فقط معها لكيلا تظن أنه مثلي خوفا على سمعته من التشكيك في رجولته، زوجته يضربها أولا وبعد ذلك يمارس معها الجنس والدم ينزل من أجزاء جسدها، هي أصبحت تقول له اضربني قبل أن يضاجعها، كان يقول للعاهرات الأُخريات ذلك بعد المضاجعة أنَّه لا يحب زوجته فقط أخذها كغطاء اجتماعي، ونسب بين عائلتين كبيرتين، ظلت تفكر أنَّها ترى الناس على حقيقتها لهذا لم تكن تريد الزواج، عندما لم تكن عاهرة كان الجميع يعاملها بلطف لكي يضاجعها، فكل امرأة في هذا المجتمع تعامل على أنَّها عاهرة.

اكتفت بوضع الروج والمونكير والمشي عارية في الشقة، وتنظيف أجساد العاهرات وتحممهم، وهي تلمس أجسادهم فيضحكوا ويضحك الجميع، وجدت وطنا في البيت، ولكن ليس القواد وزوجته بل بينها وبين العاهرات الأخريات، يحبون بعضا وربما يمارسون الجنس معا في الأوقات التي لا يأتي إليها الرجال للبيت، كدين يقضونه في لعبة، والخسارة لبعضهم يكون ممارسة الجنس معا.

لم تحدثني وكنت أنتظر أن تفعل، ولكني لم أرد أن أحدثها، فقط أردت أن فكر وحدها في بدون أي كلمة أو تأثير لنظرة مني عليها، تستشف منها صدقي الطفولي، الدموع كانت في حلمي، والسعادة كانت في المدى، ولكني لم أجربها من قبل، لم أكن خائفا من ألا تحدثني ثانية، كنت متأكدا من ذلك، ولكن لم أكن أعرف نهاية كل ذلك.

لأول مرة أجد أحدًا حقيقيا، يفعل ما يريده، كل ما يريده ويجهر به بدون خوف أو تردد كما هي طبيعتي، أحد بشخصية واحدة، لا وعيه هو ما يتجلى في أفعاله وشهواته كلها معلنة. داومت في دراستي، ولكنها كانت تسيطر علي، كانت لدي شهوة لدخول باطنها، والسير في كل ما تفعله بتعقل وأحيانا بانجراف، ولكن لم أكن اسمي ذلك حبا، لأنّي لا أعرف ما هو الحب من الأساس، لا أعرف كيف يكون الشعور عندما أحب أحدا، فهي ليست كميات مشاعر أزنها لكي أعرف، بل أمر فوضوي، وكنت دوما في حياتي لا أومن بهذه الطوباوية عن الحب، والفناء في المحبوب، لأنه فناء في الذات، ولكنها كانت تجذبني، كنت قد فقدت الأمل في ذلك، أن يجذبني أحدٌ لأني لا أحمل أي مشاعر إلى أي أحد.

لم يكن الأمر محرّمًا بالنسبة لي أن أذهب إلى بيت العاهرات، لم يكن عندي أي شيء محرم، هذا من الطفولة، ولم أكن أعرف لم ذلك، لم تكن هناك حواجز نفسية لفعل أبشع الأمور وبيقين وبعدم إعطاء هذه الأشياء هالة من الامتناع، هي أيضا لم تكن تقول شيئا دينيًّا عما تفعله، ولكني سأسألها المرة القادمة عن ذلك لأعرف رؤيتها في الأمر.

كانت تعي الكثير من الأشياء والكثير من الزيف والادعاء في النفس الإنسانية، من كثرة ما رأت في البيوت التي تنقلت إليها، كانت تشعر بدونية رهيبة ليس لأنها عاهرة، بل لأنها تنتمي إلى هذا المجتمع، الذي يحبها وينكر حقها في الوجود كعاهرة.

كانت تنتظر أن يذهب هذا التأثير مني عليها بعد أيام، ويكون كل شيء طبيعيًّا، وينتهي هذا الشعور الثقيل عليها، ولكنه لم ينتهِ ككل المشاعر الأخرى التي تشعر بها لأيام، وتنتهي مع الوقت بعامل الوقت، ولكن الشعور كان يزداد وحاجتها إلى كانت تزداد، لا تقل. في هذا الوقت كنت أتشاجر مع أبي، لأنه كان يضرب أمي ضربا مبرحًا، وهي لا تفعل أي شيء له، وأخبره أحدُ أهل الحي، أنه رآني وأنا في الكلية أتحدث عن الله والدين بشكل صريح وبتدنيس لكل ما هو موجود فيه، وإعطائه ذنب هذا الكبت الجنسي، وهذا الخراب النفسي في المؤمنين.

ما أثار الموضوع أنه ضرب أمي لأنها ذهبت إلى بيت خالتي، وهو لم يكن يريدها أن تذهب، لم أستطع أن أمسك نفسي من التدخل والصراخ عليه، كنت قد كبرت واشتد جسدي وأصبح قويا، لم أكن

أفعل أي ردة فعل عندما يضربني، ولكن هذه المرة ضقت منه جدًّا، وضقت من حياة أمي البائسة الشقية التي تحتملها لأجلي أنا فقط.

قلت بحنق شديد وصوت مرتفع: لا تضربها

فقال لي: ادخل إلى غرفتك ولا شأن لك بذلك

- كيف ليس لي شأن بذلك، هذه أمي وأنت تضربها بغير حق، وليس من حقك أن تلمسها أبدا.

فمشى سريعا وضربني على وجهي، لم أصدر ردة فعل وأخذت أمي، ولكنه شدها وضربها فضربته على وجهه فسقط على الأرض، وقام من الغيظ فشددت يدي على يديه وألصقته بالحائط، هو خائر القوة بسبب السن، لهذا كان الأمر سهلا بالنسبة لي، وقلت له: إن لمستها ثانية، سأقتلك ولن أتردد في فعلها.

فقال لي: كيف تجرؤ على ضربي أيها المعتوه، أنا من رباك وعلمك وأغدق عليك أن توجد من الأساس.

- أنت أحضرتني للوجود لكي تسلي نفسك، لأنك لم تكن تعرفني قبل أن آتي فكيف هذه نعمة؟ أن تقذف حيوانًا منويًّا في رحم أمي، إن لمستها ثانية سأقتلك.

فقال لي: ستدخل النار على ذلك

فقلت له: النار هذه أنا من خلقتها لأني أنا الله

استغرب كثيرا من ذلك، فتركته ومشيت بتبرج أمامه فقال لي: أنت مطرود من البيت ولا أريد رؤيتك مجددا.

فقالت أمي: لا، اضربني كما شئت ولكن لا تطرده، لا أستطيع الابتعاد عنه أبدا.

دخلت إلى غرفتي لألم ملابسي وأخرج من هذا البيت العفن، أخذت كل ما أستطيع أخذه وأعطتني أمي كل المال الذي معها، وقالت إن أطمئنها عندما أستقر في أي بيت.

هذه اللحظة التي ضربته فيها حررت كبت سنوات كثيرة من قمعه لأمي وضربه لها، وإن مسها ثانية سأقتله بدون خوف أو تردد لأن هذا المعتوه هو كلب مكبوت ينفس غضبه من أي شيء على كائن بريء، لم تفعل أي شيء له سوى أن أحبته، رغم ما يفعله، وفنت حياتها في البيت لأجلي ولأجله.

لم أكن أشعر أي مشاعر حب تجاه أبي فقط الكراهية، والغضب عليه والاحتقار، كنت أحتقره لأنَّه قمعي جاهل يريد السيطرة بدون سبب ويلقي الأوامر ليحس بوجوده ويضرب أمي ليحس برجولته التافهة. خرجت لا أعرف أين أذهب، أصدقائي يعملون ولا أستطيع الذهاب إلى أي مكان آخر، ولكن كنت أشعر بانفتاح سجون داخلي لأول مرة وتزامن الأمر، انفتاح السجون، مع الوقت وهذا بسبب القوة النفسية التي أعطتني إياها.

هل أذهب إلى بيت العاهرات وأحيا هناك معهم، فكرت في ذلك كثيرا فحدثتها.

قالت: ماذا تريد مني؟

قلت: لا شيء، وصمت لثوانٍ وبعد ذلك قلت لها: طردني أبي من البيت ولا أجد أي مكان أذهب إليه.

- لِمَ طردك من البيت؟

- لأني ضربته عندما كان يضرب أمي

- تعال إلى البيت الآن وأنا سأحدث القواد لكي تسكن في البيت وتحيا معنا

فوافقت بدون تردد وذهبت للبيت سريعا وهي حدثته فوافق، عندما دخلت البيت وجدتها في انتظاري عارية، وقالت إنها حدثت القواد، ولكنه يريد أن يتفق معي على بعض الأشياء، كان كل شيء عنده هو المصلحة والمال.

فقال لي: ستسكن معنا ولكن ستدفع مالا، وإن لم يكن معك مالا، فهناك حل آخر، يأتي للشقة الكثير من المثليين ستنام معهم وهذا هو إيجارك.

فقلت له: حسنا موافق

فقالت هي له: لا أريد أن يفعل ذلك هو، سأدفع إيجاره أنا بدون أن ينام مع أحد.

فقال لها: كيف ستدفعين إيجاره؟

قالت: ليس من شأنك، سأعطيك حق إيجاره أول كل شهر.

كان هذا سيئا لأنه غير مسموح لها أن تأخذ مالا ممن تنام معهم فكل المال يأخذه هو قبل الجنس، ولكنه زم شفتيه وسيفعل شيئا بها بعد بعض الوقت، ممكن يقول لزوجته أن تجلس معها، والأمر هو أن

الحب ممنوع، هذه سياسة أي بيت دعارة، لأن الحب يعني التوقف عن ممارسة الجنس إلا مع الحبيب.

لم أتحدث أنا بأي شيء، ولكني كنت سعيدا بالحياة في هذا البيت، وكنت حزينا على ما سيحدث لها. أخذتني هي إلى غرفة، وبدأت في التحدث إلي، كان وجهي عليه آثار الضرب فأحضرت ماء بارد وفوطة لكي تضعه على وجهي، وقالت: لا تقلق، لن أدعه يفعل أي شيء بك.

فقلت: من أين ستأتي بالمال؟

قالت: سأطلب من الذين أنام معهم مالا إضافيا، وهم لن يردوا طلبي في مقابل أني سأهبهم جسدي وأفعل كل شيء يريدوه مني في الجنس.

شعرت بالحنق الشديد على هذا العالم لأن من هو صادق يجور عليه كل شيء ويدفع ثمن تحرره، وثمن صدقه، فمن من الممكن لم أكن أفعل أي شيء لأبي، وأتركه يضرب أمي كما يشاء لكي أحيا في البيت بدون أي تكاليف لشراء الطعام وأخذ المال منه، ولكني لم أعد أحتمل هذا الأمر، كنت أريد أن أستقل ماديا لكيلا يتحكم في نفسيا، ويملي على تعليماته وأوامره التافهة.

هكذا سأراها كل يوم ونتحدث كثيرا، ولكني سأرى بعيني رجلا يأخذها إلى الغرفة لينام معها، وتتأوه معه، وتقبله ويدخل إلى جسدها، لن أحتمل ذلك كثيرا، لم تكن لدي منية طوال حياتي، ولم يكن لدى هدف أعمل لأجله، كانت الحياة تمشي وترمي بي إلى ما تهوى بدون أي تدخل مني، وبدون أي رغبة في تغيير المكان الذي ستقذفني إليه، كأني لست موجودا، ودائما كنت أشعر بذلك، ولكن لدي رغبة شديدة

في الحياة، وأن أوجد أكبر وقت ممكن وكان ما يغريني فقط هي حيوات الناس السرية، والبيت أتاح لي الكثير من الأسرار الغريبة.

نمت وهي تمسد وجهي بعد أن حضنتها، ولكني لن أجعلها تطلب المال من تنام معهم، غدا صباحا، سأضاجع الغلمان والرجال، هذا ليس غريبا بما أني عندي إباحة لكل شيء، فلن يفرق جسد رجل عن جسد امرأة إلا جسدها هي. استيقظت كان القواد فقط هو المستيقظ في البيت كله، فحدثته عن الأمر، كان غليظا جدًّا، ولكني احتملت ذلك، وقال لي: ممنوع هنا الحب ولكني تركتك لأجلها.

فقلت له بهدوء: أفهم ذلك وسأضاجع الغلمان والرجال كما تشاء.

فقال لي: هكذا تفهمني أيها الولد.

جاء غلام إلى البيت عشريني، وقال لي سأعلمك بما أنها أول مرة لك، أنا توقفت عن مضاجعة الغلمان والرجال منذ فترة كبيرة.

بدأ في قول لي أن أقبله أولًا، وبأن جسد الرجل مختلف عن جسد الأنثى؛ حيث لا يوجد منبت إثارة إلا دبره، فلا تلج إلا بعد أن تثيره، وهذا سيأتي مع الممارسة، خلعت سروالي فقال لي: قضيبك جيد.

وخلع هو سرواله فكان قضيبه طويلا وعريضا، والغلام واقف ينظر لي بشهوة، ويمسك يدي وقال: أنا أريدك أنت لا هو.

فقال لي القواد: هيا، افعلها، أنا أراك.

كان الأمر غريبا على مضاجعة غلام من نفس جنسي، ولكني بدأت في لمسه، وهو بدأ يتأوه سريعا، ولكن لم أكن أعرف أن أضاجعه أمام أي

أحد، ولكني فعلتها بخجل شديد، فعندما بدأت زال كل الحرج والخوف وبدأت في التماهي معه، الغلام كان جميلا وجسده حادًّا نحيفًا، نام على بطنه، ونمت عليه تماما، وبدأت في الولوج ببطء، كان يصرخ ويعض في يده، لم أكن أتخيل أن قضيبي سينتصب، ولم أكن أعرف أن الأمر ممتع، وأني ممكن أكون مثليا فالتجربة هي ما تحكم ليس أي شيء آخر.

الجنس المثلي تكون فيه الرومانسية أعلى ويختلف اللواط عن السحاق، فبين الرجل والرجل تكون نقاط الإثارة شحيحة، وهي الدبر فقط، بينما في السحاق بين المرأة والمرأة يكون الأمر أكثر إثارة لتعدد نقاط المتعة، ولكنه هو جنس واحد، لأن في اللواط والسحاق يكون هناك رجل يقوم بدوره، ورجل يقوم بدور الأنثى، والسحاق امرأة تقوم بدور رجل وامرأة تقوم بدور الأنثى، وفي الحالتين الأمر نفسي غريزي من الرغبة في الشهوة المسيطرة على الآخر، شهوة الموجب القائد وشهوة السالب المقاد.

المدركات النفسية تؤثر على الميول الجنسية، الجنس بين الرجل والمرأة والجنس المثلي، كلاهما يعتمدان على المدركات النفسية، لهذا ليست المثلية مرض نفسي، اكتشاف الميول يكون صعبا جدًّا بسبب ندرة الجنس في المجتمع العربي.

الولوج المقدس بين جنبات المهبل بين الرجل والمرأة أو بين جنبات الدبر في المثلية، ولوج يحمل الإرث البيولوجي، استثارة حفيف الدائرة المقدسة والخروج والدخول، كأنه تحطيم لليأس الوجودي وعودة إلى البدائي الذي لا ينضب، ودائرية الشكل في المهبل أو الدبر كأنَّه تأكيد وتأبيد للمتاهة التي لا تنتهي في كل شيء

حتى في علية الولادة، الولادة التي تحطم الوجود مرارًا، الحلول الحقيقي بين المادة بالرجل والأنثى والرجل والرجل والأنثى والأنثى، تنفيذ للتلاحم الشعري المجازي الذي يستوي فيه الشخصان في جسد واحد يتنمر على المجهول، الجنس دخول إلى مجهول الروح فلحظة الأورجازم هي لحظة انسكاب الروح في الروح، وفرار الكينونة للكينونة بكل قيودها التي تتكسر مع هذا الحلم.

استيقظت وأنا أنهي الجنس مع الغلام، فشدتني وصرخت في وجه القواد: لم سمحت له أن يفعل ذلك؟ قلت لك سأعطيك المال الذي تريد حقا للإيجار ومكوثه في البيت. قال لها بغضب: هو من قال لي إنه يريد المضاجعة، ولا أستطيع أن أمنعه ليحرر شهوته كما شاء.

فقالت له: سأترك البيت إن جعلته يضاجع أحدا مرة أخرى.

لم يرد، ولكنه كان مستغربا فهذه أول مرة تقول فيها هذا له، مهما حدث لم تكن تهدد بترك البيت أبدا.

أخذتني إلى الغرفة وقالت لي: أرجوك لا تفعل ذلك.

فقلت لها: لم؟ أنتِ تمارسي الجنس مع كثيرين، لم ليس من حقي ومن حقك أنت؟

فقالت بحرقة: صحيح، أنا عاهرة

فقلت لها: وأنا عاهر، نحن متساويان والأمر ليس الفعل، كنت أمارس الجنس مع الكثيرات في مخيلتي، هذا يجعلني عاهرا أيضا، كل الرجال عواهر وكل النساء عاهرات.

قلتها بغضب شديد لأني كنت مخنوقا جدًّا، ليس من ذاتي الجديدة، وليس منها وليس من القواد، بل من الوجود كله وقوانينه، وفكرت في أن هناك اشتهاء جسديا، وهذا ما يحدث في بيوت الدعارة، ولا توجد عاطفة في ذلك ولم يمنع ذلك، لم يمنع اثنان يشتهون بعضا جسديا من ممارسة الجنس، في حين أنهم من الممكن أن يشتهوا بعض عقليًّا، ويتناقشون في فكرة ما، هذا مثل ذلك، لم الجسد محرم عليه شهوته؟

اقتربت مني وبكت، وقالت لي: أرجوك لا تفعل ذلك، لم أبكِ منذ تسع سنوات.

كانت هذه اللحظة بداية كشف حبها لي وحبي لها، لم أكن أستطيع أن أُسمي ما أشعر به، ولكنها كانت صادقة جدًّا، وأنا كنت أفهم هذا الصدق، ولكني كنت خائفا جدًّا، مِن هذا الذي بدأ للتو، لم أجربه من قبل، ولا أعرف أي شيء عنه، ولا أعرف قيوده، ولكني كنت أرى قيوده على من بجواري وأولهم أمي، لهذا اختنقت فبدأت في تقبيلي ودموعها تنزل على شفتيها، وعرتني وبدأنا في ممارسة الجنس، هذه المرة كانت أكثر حقيقية، كانت صافية وتهب جسدها لي كله، وتهب كل شيء بها لي وأنا كذلك، لم أستطع المقاومة قط، رغم حنقي من القادم الذي لا أعرف أين سيؤدي بها، لم أكن أكترث إلى أين سيؤدي بي.

جلسنا على السرير عرايا وبدأنا في الحديث، قالت لي إن العاهرات الأخريات في البيت أتوا قسرا وجبرا بدون اختيار، وأن القواد يستغلهم ويستغلني إلى أقصى حد، يريدون الهرب ولكن لا يعرفون إلى أين

يذهبون، وإن هربوا لا يعرفون ماذا سيفعلون في شهوتهم الجسدية، هويتهم تكونت من الجنس، لا يعرفون أي شيء عن العالم الخارجي.

القواد كان يغازلها كثيرا، لم ينم معها ولا مرة، ويريد النوم معها، وهذا لن يضايق زوجته لتفعل أي شيء، ولكن في داخلها ستتضايق، ولا يستطيع أن تكون زوجته على خلاف معه، لأنه يعتمد عليها كثيرا في جلب البنات الجديدة إلى البيت، فقد هربت من البيت الآخر إلى هذا البيت، لأن قواده كان يريد أن يتزوجها ويبعدها عن البيت، وهي لم ترد ذلك، فذهبت إلى هذا البيت، البيت الآخر كان أكثر شهرة ومن يأتون له كانوا أغنياء.

وفجأة قالت لي بحرقة: إن اقتربت من الجنس لن تستطيع الهرب منه أبدا، لأنه شهوة عظيمة، إن استمررت في النوم مع العاهرات ستدمر شهوتك، الجنس مع من نحبه مختلف جدًّا عن الجنس مع من لا نحبه.

- أنت لم تجبريني على أي شيء، كل شيء فعلته فعلته بإرادتي، لا دخل لك بشهوتي، إن لم يعجبني الأمر لكنت رحلت، ولكن الجنس يتواصل مع شيء بي، لا أستطيع أن أهمله أو أتجنبه، فقدت كل شهواتي ماريانا، لم تعد لديَّ رغبة في أي شيء، وجئت إلى هنا للتجربة فقط، الاكتئاب يشل كل شيء بي، مكامن الإحساس، كان صعبًا جدًّا أن أخرج مني إليك.

- أنت حلم لإحداهن، وشردت.

وبعدها قالت: لا أحبك لأنَّك تعاملني بلطف، ولا لأنك تفهمني، ولا لأنك تريدني كلي، أحبك لسبب لا أعرفه ولا أفهمه، ولكني

أنجرف معك بدون أي رادع، لم أفعل ذلك من قبل، حتى مع نفسي، لا أحب أنين مهبلي عندما يلجه أحدٌ غيرك، ولا نهدي أن يدعكهما أحدٌ غيرك، لا تعرف من أنت إليَّ؟ ولكن هذه حياتي، ولا أستطيع الحياة بشكلٍ آخر، أهرب من الألم الذي ينخر فيَّ بالجنس، لا يهم مع من أنام لأن كل جنس مميز عرفته معك.

وصمتت لثوانٍ، وقالت: أريد أن أراك وأنت تضاجع امرأة أخرى.

- لا أريد، سيكون هذا صعب جدًّا عليَّ وعليك.

فنادت علىَّ أميرة، وقالت لها: نامي معه الآن.

فقالت لها: هه، وأنت؟

قالت لها: لا أريد، هيا نامي معه الآن أمامي.

نظرت إليها باستغراب، وقالت لها: ستتضايقين جدًّا، هل جننت أم ماذا، هذا الفارس الأبيض.

- أريد أن أراه معك، ماذا سيفعل في الجنس؟

فقامت من على السرير، وخلعت قميص نومها وقالت لها: هيا

بدأنا في ممارسة الجنس بسرعة شديدة، ولكني لم أقبلها ولا قبلة، كان جنسًا من طرف واحد، كنت فقط ألجها، لم أتأوه قط، وهي لم تبعد عينيها عني أبدا، كان جنسًا بدون معنى ولا قيمة بالنسبة لي، كانت تفعل ذلك لكي تتأكد من أني أحبها أم لا، وتأكدت أني أحبها.

قالت لي: ستراني وأنا أضاجع رجلا آخر، صمت ونظرت إليها بوحشية، ولكن لم أقل ولا كلمة، خرجت أتت برجل، وبدأت في

مضاجعته بعنف وتأوهت بصوت عالٍ ولم تنظر لي ولا مرة، كنت واقفا مذهولا من طريقتها في الجنس معه، كانت تحاول أن تقول لي: ابتعد، أنا عاهرة، يجب أن تصدق ذلك، لن أترك البيت، هذه حياتي ولا تتدخل بها، أردت الخروج من الغرفة ولكني لم أخرج، جلست على الكرسي عاريًا ومركزًا على المشهد أمامي، كان يضربها على ردفاها، كدت أقوم أقتله ولكن سيطرت على نفسي، ارتجفت لأول مرة في حياتي، ولم أجد أي شيء يعزيني، بعدما انتهوا، نامت على السرير ووجهها للسقف، ولم تنظر لي قط، فخرجت إلى الصالة، لم نتحدث لثلاثة أيام بعدها، ولم ننظر لبعض حتى، كنت أضاجع كل يوم نساء ورجالا بعنف وبشهوة رهيبة، رسمت على حوائط البيت كلها لوحات إيروتيكية للعاهرات الموجودة في البيت إلا هي، في أوضاع جنسية معي.

في الليل المتأخر، عندما لا يكون أحدا في البيت غيرنا، كانت ترقص إلى الجميع، تضع الهيروين على نهديها لتشمه العاهرات الأخريات وتضع على مهبلها الهيروين فقط للقواد لكي يشمه، بدأت أشم الهيروين كل صباح لكي أستطيع الحياة.

وضعت العاهرات الأخريات الهيروين على مهابلهن، واقتربوا منى الثلاثة فشممته كله، ومزقت ملابسي القليلة وطفت بعد الهيروين كانوا عرايا جميعهم، وقامت العاهرات كلهن بنغمة الصوفية "هييه، حي" وجننا جميعا، بدأت في قول الشعر بدون أن أحس، شعرت أن ستارة المغلق الإلهي فتحت فجأة، وكنت أنا المفتاح والفكرة الأبدية (الله) انفتحت في عقلي أو لا عقلي، لم أشعر بجسدي على الإطلاق، خفيفا

وكل عقلي مرايا وكل المكان مرايا وكل الأشخاص الذين فيه مرايا، أنا سائح في المطلق ولا مرشد لي، لا أزر لروحي من جسدي، أتموج بين صفحات الغواية الأوهية بالفناء، إنَّه العشق ينجيني من الانتحار أو يوديني إليه، بغمر غموضي بغموضه الكلي في قبو المخيلة، أنا الوريث لدلالاته الشعرية اللا نهائية، جنت ضفافي لنوره، جن قعر بئري.

قاموا جميعا يطوفون حولي عرايا وقالت مريانا: إننا الشياطين نطوف حول الله.

اسكر يا إلهي

فقلت: أحرقوني أنا الملتذ بالنور

لا تختبئ بل تجلى يا مليك الصور

تعال أفنيني

تعال احجبني

أنا المعذب التائه العاري المنتشي

خذني بلا جسدي

وطفنا كثيرا، وفي النهاية شككت أنَّ كل ذلك من مخيلتي فقطعت شرياني ولم أدرِ بعدها بأي شيء حدث.

أريد أن أدمر نفسي وأنا على وعي بذلك بخطورة الهيروين، دائما ما كنت أعتقد أن لديَّ قوة نفسية رهيبة تذكرني دوما بعدم عبوديتي إلى أي شيء أو إلى أي أحد، أستطيع التخلي عن كل شيء وكل أحد. لقد ضمدوني واستغربت ماريانا مني كثيرا وبكت عليَّ، استيقظت خائرا،

نائما على صدرها، لا أدري ما الذي حدث، كانت تبكي جدًّا وكنت أنا دائخا جدًّا، لا أدري أين أنا، حلمت كثيرا بها، أحلام غريبة ملائكية وحلمت بنور شديد ساطع أمامي، كنت في هيكل عظيم، عرش هلامي، لا أدري كانت أشكال غريبة لمرئيات عالية ميثولوجية.

لم يحدثني أحدٌ عن انتحاري ولا حتى ماريانا، كأن الأمر لم يحدث على الإطلاق. في هذه الحرب ضد نفسي، لا يوجد أي حرمة لأي معنى، لا يوجد أي عصمة لهتكي الفعلي لحياتي، البقاء لم يكن مقدسا ولم يكن له قيمة لدى، الموت يئز مع كل ضربة، لقد اتخذت ذاتي تجربة كلية للعبث وللا خوف، وأجريت عليها ما أملته عليّ مخيلتي، كان انتحاري نتيجة المشيئة الساخنة لي على مدار حياتي، سأذهب إلى قبري وحيدا كما عشت في قبر العالم وحيدًا، لأني بلا بيت وجودي أو مجردي أو ما ورائي، إني أحترق باطنيا ولا يوجد أحدٌ يرى هذا الاحتراق، حاولت أن أنتحر لأني أردت برغبة شديدة أن أشق هذه المرايا وأشق هذا البياض في فجر كونيتي، تبرزت وجداني، وتبرزت هويتي الإنسانية الوهمية، إنَّه أمر شاق ألَّا أكون لزوما في العالم وألَّا يكون العالم لزوما في الكلية.

فكرت طويلا بها في الثلاثة أيام، أشعر دوما بأني غريب عن الجميع وعن عائلتي وعنها، أحبها ولكني غريبا عنها منذ أول يوم رأيتها، هي تشعر بذلك وأنا أشعر به، ولكن كلانا لم يقله، لم أقله بسبب خوف، لم تكن لديَّ رغبة في قول باطني لأحد، لأني مليء بالأشياء والأشخاص، كانت هي أهم شيء عندي.

أجدت الجنس في الثلاثة أيام، وأخذت معلومات من كنت أنام معه، وأسقطتها على النفس الإنسانية، كثير من النفس الإنسانية مرتبط بالجسد، وعرفت أن الناس العادية التي لا تشتغل فكرا ولا فلسفة، ولا أقصد بذلك الأكاديميين، ولكن المتفلسفين في وجودهم وحياتهم، الذين يفكرون في الكثير من الأشياء، كانوا أقل حاجة للجنس من الآخرين، لدى الإنسان العادي الشهوة العظمى هي الجنس والمال. مارست السحاق مع امرأة، كله بدون استخدام قضيبي كأنَّه غير موجود، أضاجع كأني امرأة كاملة.

الغروب قد حل، فجلست تحت النافذة وحدي، أعد أحلامي التي تحطمت، والظنون التي على الناس في مخيلتي وخيرهم، الآلام هي أساس هذا الكون والعبودية للآخرين فكريا وجسديا ونفسيًّا، اليوتوبيا الشعرية التي ليست في الواقع نهائيا، كل شيء يتدمر على حافته ولحظة التدمير تكون أبشع لحظة، الانتقال من الطفولة إلى الجريمة، كل امرئ يحاول السيطرة على من يستطيع السيطرة عليه، ويستغله لأجل المال أو الشهوة، وكل العلاقات قائمة على الزيف، لم يعد يهدهدني الشعر كل يوم كما كان يفعل، لأني غاضب منه، وألحظ تغيري ومشيي مع الواقع بكل روابطه معي، وأن الحياة عبارة عن مقايضة مصالح بمصالح.

لم أعد أتذكر أبي أو أمي ولا أهتم بهم، صفحة وعيي البيضاء قد تشوهت ووجداني قد فسد ووجدي قد كسد وجسدي قد امتلأ مخدرات ومني ودم. اختفى الألم الفكري في خضم كل ذلك، هل هذه إغماءة خيالية أنا بها؟ أم أنا فعلا موجود في هذا الكون هكذا؟

انحدار الشهوة بي، أفكر فيه دوما، وأرتعب من ذلك، لأنه كان يقيدني ويحصرني في منطقة معينة، لا أستطيع أن أهرب منها، أو أحاول الفكاك حتى، أقارن دوما بين شهوتي الجسدية وشهوتي التأملية، أحيانا أحدهما يفوز على الآخر. اختنقت بعد هذه الأيام الثلاث، لم أقرأ، لم أكتب، فقط أضاجع وكل الكلمات قد هربت مني، حتى عندما أردت أن أكتب يوميات عن هذه الأيام، ووصف أجساد من أنام معهم، ومشاعري وحاجاتهم وتفاصيل المضاجعة، هذا يجثم على ويهيئني للشفقة على نفسي، خوفي الوحيد أن يندثر الشعر، وألا يعلو كما كان يعلو عندي فوق كل شيء.

عيوني ثقيلة، لم تعد ترى إلا النهود والخواصر والمهابل والأَقْضِبَة، لا يوجد أي شيء آخر، كيف يحتمل من في البيت حياتهم كذلك؟ كيف اعتادوا عليه؟ جسدي كان مصروعا بشكل مخيف للمثلية، باندفاع قضيبي في أي دبر ينتفض ويرقص ويهلل لي، المثلية كانت تحفر في أفكار كثيرة، فرح وجوه الرجال والغلمان الذي يطلقوه بعد الممارسة.

لا أعرف لم يشعر كل الرجال بنشوة الانتصار على المرأة بعد ممارس الجنس معها، وأنه هكذا سيطر عليها، وأعلى منها من حيث الجنس، يظنون أن المرأة تهزم بالجنس وخصوصا الرجل الشرقي الذي دائما ما ينظر إليها هكذا، وأن المرأة إن لم تحكم في الفراش لن يستطيع أن تحكم في غيره، يجب أن تشعر بالانحطاط، وأنها شهوتها للجنس أكبر من شهوتها له، وأن كل النساء لا تبتغي من هذه الحياة

سوى أن يضاجعها أحدٌ بعنف، وأنهم خلقوا للمضاجعة، هذا كان يقل مع العاهرات، لأنه يعلم أنها قوية نفسيًّا، لأنها تضاجع الكثير، ولن تتوانى على أن تخبره أنه لم يكن جيدا معها في ليلة ما، وأن إثارتها صعبة بسبب ممارستها الكثيرة للجنس.

جاء إلى البيت رجل وزوجته، أغنياء جدًّا، الرجل مثلي والمرأة سحاقية، كانوا يأتون معا كل فترة بعد أن يفرغوا من أصدقائهم الذين يمارسون معهم ما يريدون، كان يفضل الرجل الرجال الذين في البيت لأنهم متمرسون ويثيروه أكثر، وزوجته أيضا كان تفضل عاهرات البيت لأنهم كانوا أكثر تجريبا ومعرفة بالجنس، ضاجعته أنا في دبره، ومارست مريانا السحاق مع زوجته، أخبرني الرجل سرا أنه سيجد لي وظيفة في أحد ممتلكاته لكي أبتعد عن البيت وأمارس معه الجنس باستمرار، وكذلك زوجته أخبرتها أنها ستجد لها وظيفة في ممتلكاتهم، وتستطيع بذلك ممارسة الجنس معها، والغريب أنهم لا يعرفون العلاقة بيني وبينها، ولكنها تعرف ماريانا فكلما أتيت تختارها هي، أربعينين هم، لديهم أولاد ولكن لا يحيون معهم، اكتشف زوجها مثليته بعد أن تزوجوا بفترة، فكف عن ممارسة الجنس معها، وحدثت مشاكل في البداية له معه، لم تتقبل الأمر، ولكن بعد وقت قصير أحضر صديقه وزوجته ومارس هو الجنس معه، ولمست زوجة صديقه زوجته، فوجدت الأمر ممتعا أكثر من ممارسة الرجل معها، وبدأوا في ممارسته باستمرار.

ظللت أفكر هل أذهب معه وأترك البيت، وسيؤمن لي وظيفة وبيتًا، وأكون أنا وماريانا معا في بيت واحد بعيدا عن هذا البيت، خصوصا

أني سمعت القواد مع زوجته يتهامسون أنه سيجلس مع قوادين آخرين قريبا، لكي يتبادلوا العاهرات والمثليين، وبالطبع ستذهب ماريانا.

خرجت للتمشي في الشارع، منهك جدًّا، لأني لا أنام جيدا، أشعلت سيجارة ونظرت في الأرض وسرت، لا أعرف أين أنا ولا إلى أي مكان أنا ذاهب، موبايلي مغلق منذ ثلاثة أيام، عندما فتحته، أمي ترن فرددت عليها، منهارة وتبكي، صمت أنا وبدأت في الحديث لما هدأت.

– أين أنت؟ وأين كنت لثلاثة أيام؟ هكذا تتركني بدون أن أعرف أين أنت ولا أين ذهبت، لم أعد أقدر على المشي ولم أنم من ثلاثة أيام، حرام عليك.

– اهدئي، أنا بخير، كنت عند صديق ولكن موبايلي تلف فصلحته، لا تقلقي أنا بخير، سأقول لك مكانا نتقابل فيه قريبا لأني لن آتي لبيت هذا الرجل ثانية.

– تعال، أرجوك الآن، لا أستطيع الاحتمال، تعال فورا، هيا تعال.

– حسنا، ساعة وسأكون تحت البيت، لما أوصل سأحدثك.

– ربنا يهديك، أنتظرك بفارغ الصبر.

تمشيت قليلا في الهواء، كنت خاملا جدًّا، لا أقوى على رؤية الناس في الشارع، فهذا يخنقني جدًّا، أريد شوارع بلا أناس، ووجدان بدون حب، وذهن بدون أفكار..

رنت عليَّ إحداهن من الكلية، كانت تحبني، ولكنى أخبرتها مرارا أني لا أحب أحدا، وليس الأمر بها هي، بل فيَّ أنا، لا أحتمل العلاقات

وضغطها، لا أحتمل أي رابط مع أحد، حتى وأنا أعرف أن الوحدة ستفتك بي، لن أدخل في أي علاقة لأني ليس لدى طاقة نفسية لإقامة علاقة، الطاقة القليلة التي عندي أستهلكها في التنفس والمشي فقط في الحياة كأحد خارجها وخارج كل شيء.

رددت عليها وبدأت في الحديث: أين أنت؟ لم تَأتِ للكلية وموبايلك مغلق من ثلاثة أيام، أنت مريض؟ حدثت أصدقائك ولا يعرف أحدٌ عنك أي شيء.

– أنا بخير، لا تقلقي، مختنق جدًّا فذهبت إلى صديق والموبايل كان تالفًا.

– أريد أن نتقابل ولا ترد طلبي.

صمتت لبرهة ولم أعرف ماذا أقول لها، ولكنى قلت لها: حسنا، أيام ونتقابل، سأحدثك قبلها لأعلمك.

فقالت لي: حسنا، شكرا

***

أعود إلى سداي في الليل، القلم المتجذر في النشوة، والورقة الغائرة البياض، الصبية التي تغويني، لأكتب سيرة شذاي المراق على العابرين الراحلين، لاثمي العيون بقبلات سريعة، أبكي على صوت عبد الوهاب، وأرقص بعدها على موسيقى الصوفية، وأتعرى من هذه الملابس التي تفرقني عن هوية ميلادي، أرى جسدي في المرآة بندوبي المفتعلة فيه، أنتحل شخصيات في مخيلاتي وأرقص وأكتب.

شفتاكِ حيوية متأهبة للعراك أو للتقبيل، عيناكِ حزينة بحيث لا أستطيع الكتابة عنها، حزنها عميق وصادق جدًّا، كأنها خرجت للتو من الاستحمام في الألم استحمام لفترة طويلة، أسفل عيناكِ يسكنه اللون الرمادي، مزيج من الحزن والوداعة، وجهكِ صافٍ كقطعة جليد عذبة، كقطعة زجاج غير مكدرة بالشوائب، كالأبدية الناصعة، يدعو إلى الرهبة، الرهبة التي تستدعي الصمت، ابتسامة نحيلة تعارك الحزن، تحاول النحت خلاله بخجل، ألملم ضحكه ونظره و...

وألصقهم بجدار عيناي لكي أستطيع النوم، يتراخى اللا معنى رويدا رويدا، ينتهي إلى أن ترحلي.. فيعود، فأغمض جفناي اللذين يجاوران الخارج، وأفتح عيني التي تطل على صورتكِ والمطلق، النوم أن أرتاح لا أن أغمض عيني، الراحة هي أن أكون في الوطن، أو أمامه أو أمام صورته، هو أن يحتوي المكان على الوطن، أو متعلقاته، عيناكِ تزرع زهرا في جسد الذي تنظرين إليه، عيناكِ تشارك في تزيين الطبيعة، فهل لي أن أنظر بهما إلي؟ لم أعد أعرف ما طعم الغبطة؟ لم أعد أعرف طعم أي شيء، الحزن يملأ فمي، والحزن كاللّه ليس له سبب، واجب يُؤدّى للعدم، ملامحي ثابتة كصنم قديم، لا تكترث بمغازلة الفرح، وأنا مصاب باللامبالاة الحادة، وقشعريرة لا تنتهي، أسمع همس العصافير الصغيرة، يتحدثون عنكِ- ربه الزهور- يوما ما سنذهب لنراها، هي هناك تنام على الورقة، والأفكار تحوطها كالعشب، ونغرق في حضنها، بحيث تلف يداها حولنا، ونرضع من هذه اللا نهائية...

كم أنتِ بعيدة؟ وكم أنتِ قريبة؟

أكتب لكِ وأنا هزيل، وكل شيء بجواري هزيل، ضوء القمر.. الله.. القلم... سيقان الزهرة.. وحده الألم هو القوي، والجميع صريع الحياة، والمكان ملثمُ بالظلام، وكل شيء ملثمُ بالوهم، والمستقبل مهشّم، واليأس يحاول تعطيل ضوئكِ، أيتها الشمس، وأنا أستجديه، ولكن هيهات.. أن تجدي صقرا رحيما مسالما.

في وسط العتمة، حيث أشجار النخيل كأشباح ذابلة، والمجهول منتشرُ، أملي رافع يديه، مستسلم لأربعة جنود، للسخط والغموض والضيق والملل، الآثار الجانبية للا معنى، أنا الآن أحيد عن شريعة العزلة، العزلة هي أن أحيا وحيدا وأن أموت وحيدا، حتى وإنْ كان بجواري الآخرين، أن أظل طوال حياتي منتصبا أرِقا أبحث عن وطن، أن أظل طوال مماتي أبحث عن الله، أن أكتب لأنَّ ثقبا أصاب الروح..

أن أكتب لأني لا أستطيع ألا أكتب، لا يوجد فصول هناك، الغرفة جليدية أو بركانية، تحول مفاجئ بإرادة الصدفة، أنا الآن أغري اليأس، لكي يقتلني فهو قاضي العزلة، قوانين العزلة صارمة.. لا أحد يعرف بأسرار عزلتك، ولكنكِ تحذفي العزلة بكل تفاصيلها، أنا أكتب لأني متيم بهذه الرعشة التي تصيبني وأنا أكتب.. سأفعل أي شيء.

بسيطة كقلبي.. كفراشة تنشد الحياة.. كابتسامة فتاة مصرية سمراء.. كشفتيّ امرأة عذراء بعد أول قبله لها.. كدمعة طاهرة معلقة في العينين قبل أن تسقط.. كصوت فيروز.. كحلم فلسطينية، بسيطة بما فيه الكفاية لكيلا أستطيع أن أفهمك! فلتعلمي أن اللحظة الذي سأبعثها بها هي أكثر اللحظات التي تكون فيها خارجي، رأسي قابلة للانفجار،

وعليَّ أن أفعل شيئا لذلك.. ليس لأني لا أريدها أن تنفجر.. بل لأني لا أحتمل هذا الضغط الذي يسبق الانفجار، لو كان من الممكن أن نموت بدون أن نشعر بالموت!

لا أعرف هل يفعل اللا وعي المخفي الخاص بي.. الذي تَصدُر بموجبه، أفعال القلب والقلم هذا لأنكِ مستحيلة؟ لأنه يعرف كما أعرف أنا.. أني لا أحب تذوق إلا المستحيل لأن قلبي لن يبلعه.. ولأنَّه غير قابل للبلع.. أما الممكن فلا أستسيغه لأنه قابل للبلع، سيدخل في تكويني إن بلعته.. رغم أنني أشتهي بعضا منه، ولكنني لا أقترب إلا من المستحيل! كتبت ذلك وأردت أن أعطيها لها ولكني لم أقدر على ذلك.

اتصلت بي ماريانا وطلبت أن أحضر فورا إلى البيت، ولم توضح أسباب ذلك، عدت خائفا مما كان تخبئه، هل سأرحل وأبتعد عنها، ما الذي سيحدث؟ لا أعلم. قالت لي إن الرئيسة أمها تريد أن تنام معي، وأن ذلك شرطا لبقائي في البيت، بل لدخولي إليه ثانية، وإن لم أفعل لن أدخل ثانية، ولن أراها مرة أخرى، لم أكن أعرف لم هي متوترة بهذه الطريقة الفجة المرعبة لكني هدأتها، وبدأتْ في الشرح: إن أمي هي الفاجرة العظمى، الغرائبية العظمى، لا تطلب النوم مع أحد إلا وتقتله في نهاية الجنس، فعلت ذلك كثيرا أمامي، عضت رجلا مرة من رقبته وقتلته، إنها وحشية فوق كل تصور، إنها كالكلاب تشعر بخوف فريستها من نفسه ودقات قلبه، إن شعرت بخوفك معها ستقتلك، لا تتردد أبدا في فعل أي شيء عنيف، إن اقتضى أن تقتلها اقتلها.

- اهدئي لا أفهم أي شيء

- إنه ليس جنسًا فقط، إن لم تقتلها ستقتلك، إن اشتهت أحدا تقتله في النهاية.

جلست أفكر ما هذا الذي يحدث؟ أنا عنيف جدًّا في مخيلتي إلى درجة رؤية جثتي تحترق في مداي عندما أغمض عيني، إلى مدى قتل كلب وأنا صغير والشهوة الرهيبة للقتل، قد حاولت أن أسمَّ أبي في الطفولة، وحاولت أن أقتل عائلتي كلها، إنها فرصتي الوحيدة لتجريب هذه الشّرّية في الفعل، متصاحبا مع جنس غريب، إني سوداوي لأقصى درجة تجعل كل أفعال الشر مباحة لي بدون خوف أو تردد، عشت بلا معنى، بلا وجد، بلا محرم، بلا مقدس، بلا أخلاق، بلا قيم، بلا معايير، بلا حياة طبيعية، بلا خوف، فضضت دبور غلمان وشيوخ في بيوت الله، أرقت غشاوات البكارة لعذراوات كثيرات بلا مسئولية ولا ندم.

سببت الله في تجليه لي، سببت الدين والأنبياء، كفاجر هناك رائحة تفوح من غشاءات بكارة العذراوات، إنها لوثة لديَّ، لوثة الفتق لطفور الدم، إنَّ كل هذا هرب من العدم الفكري النهاية الحتمية لكل فكرة. لا أعرف ماذا سأفعل؟ الرئيسة تجيد الجنس بطريقة رهيبة جدًّا، ستأكلني قبل أن أفعل أي شيء، كيف سأثيرها؟!

كانوا عائلة مع بعضهم بعلاقات وثيقة جدًّا، فلا أعرف أحد يحب أحدًا كما كانوا يفعلون، إن المحرم يخلق مساحة من الإدراك شبه الكلي لمشاعر وأفكار جميعهم تجاه الآخر، ولم يكن هناك قيم يحتكموا بها بينهم إلا القوة.

دخلت إلى البيت قلقًا وبرأسي ملايين الأفكار، مضطرب جدًّا، ولكني لم أكن خائفًا أبدا، قالت هالة: هه، لماذا تدور حول نفسك هكذا، هي في الغرفة تنظفها.

فقلت بصخب: ماريانا، ماريانا.

- عدت، تعال إلى هنا، حضن كبير لك.

وحضنتني بقوة لكيلا أهرب منها أبدا، وأخذتني لغرفة فارغة وقالت لي: عريني.

فقمت ببطء بالغ بتعريتها كأني أحمل الديناميت فخلعت عنها من أعلى، لأسفل وانتهيت إلى قدمها وقبلتها، وبعدها خلعت ملابسي، وقالت: لا أريد ممارسة الجنس، أشم لعاب أخرى على جسدك، فقط أريد أن نتكلم ونحن عاريين فهكذا الأفكار تتدلى بسرعة وبتلقائية.

- أنا معك في هذا

- ماذا سنفعل بشأن أمك؟

- لا أعرف، سأنتحر إن رأيتك معها، لا تعرف كم أتخيلك معي طوال الوقت؟ حتى مع الرجال الآخرين حتى أني ألفظ باسمك وأنا معهم.

- لا أعرف ماذا أقول؟

- أعلم، أنا أحبك أكثر مما تحبني، وأكثر مما أحب نفسي، وأكثر مما تحب نفسك.

كانت تمرر يدها على شعري فظهرت خصلة بيضاء فقطعتها، وقالت: تعرف ستكون أجمل إن كان شعرك أبيض.

- أنا أريده أن يكون أبيض.

- كنت معها؟

- نعم.

- لم يعد إلا يومان لأخبر أمك هل أنام معها أم لا؟ أنا متوتر لهذا، ومتضايق لأنك ستتضايقين جدًّا.

- تعرف لدي شعور بالغ أني لن أحزن إن تخيلتني أنا التي تمارس الجنس معك، حدق في عيوني طوال المضاجعة وأنا أيضا سأحدق.

جاءت فجأة إلى الدار أخت الرئيسة وابنها، خالة ماريانا، دخلت الغرفة ونحن عراة، ولكننا لم نتدثر بشيء، سلمت علينا وخرجت، لديها سرطان الرحم ولا تعرف ماذا تفعل؟ فخرجنا من الغرفة لنبقى معها.

ابنها عشريني وجهه ناعم وكلامه يشبه النساء، هو مثلي ولكنه ينام مع كل من يراه، نظر إلى نظرة طويلة وجاء ليسلم علي، يده عن عمد أطالت الإمساك بيدي حتى أخرجتها من يديه بقوة، وقال: أنا أعشق هؤلاء المخابيل الذين يطولون شعرهم مثلك.

فابتسمت وقلت لماريانا أني سأرحل فأحاطني بعيونه، وأنا ماشي حتَّى خبطته على رأسه، لم يكن لدي مانع في النوم معه، تركتني حنا بعد أن ارتديت ملابسي، وذهبت لتعد شيئًا للخالة، فقالت بصوت خفيض: إنَّ مت وأنا جئت هنا لأموت، أريد أن أطلب منك شيئًا فهل ستردني؟

- لا، قولي.

- عندما أموت صلوا عليَّ هنا في البيت أنت، والباقي، وكن أنت الإمام، وبعدها ادفني في أي مكان، ونام معي وأنا ميتة.

ترددت في القبول والرفض، ولكني قبلت بالنهاية، ووافقت: حسنا سأفعل.

وقالت مريانا لها: أمي تريد النوم معه، ولا أعرف ماذا أفعل؟

فقالت لها بصوت متشدد: ستقتله

خرجت من المنزل مطأطأ الرأس ولا أدري أين أذهب، لا أريد الذهاب إلى بيتي، ولكني أحتاج إلى الاستحمام لكي أزيل لعابها من على جسدي. نمت على الرصيف كأني شحاذ إن رآني أحد من عائلتي ستكون مشكلة كبيرة، ولكني لم أكترث، ولن أكترث أبدًا بهم. أخرج إلى الشارع في زي سيء، وأذهب إلى محافظة آخر لكي أشحذ بحرية، رغم أنّي لا أحتاج للمال، في النهاية كنت أعطيه لشحاذ آخر. ما الذي جعلني هكذا أتساءل طوال الوقت، ولكن لا أجد جوابًا، عدم وجود جواب لا يعطل السؤال اليومي.

نمت أكثر من سبع ساعات في الشارع على الرصيف، عظامي تعبة من النوم على شيء صلب. النيل مغرٍ من أعلى الكوبري، مغرٍ للسقوط والغرق، جربت الغرق من قبل، ولكن كانت في بحر، الآن عذب، سأرمي نفسي ذات مرة بدون أن أكون يائسا، وبدون أن أكون مضطربًا، ربما وأنا سعيد سأنتحر.

فكرة الانتحار مع أحد، لا تنتحر وحيدا فكرة جيدة، لم أكن أخاف قط من الموت، فإما الخرطوم الأحمر الطويل لله وإما العدم المريح. سأذهب

الآن لمنزل لكي أتعرى وأستحم وأقرأ، العري يجعل كل شيء سهلًا وذات قيمة، استحممت ونشفت جسدي وبقيت عاريا. كانت نتانة تخرج من جسدي من العرق وعدم وضع ماء عليه، ولعاب النساء، وحشرات داخلية أكثر، معدتي بها ديدان وباطني ممزق جدًّا، أسعل من الشيشة وجلدي عليه بقع حمراء. تعريت لكي تخرج الكلمات غير خائفة وعارية.

كنت أجن نفسي بهذه الشخصيات التي أخلقها وأبذرها بجواري، ولكن مع هذا كله، تأتيني غمامة ما سوداء تقحمني في البؤس. أتاني هاتف، وأنا أشحذ أن خالة ماريانا توفت وهم لا يعرفون ماذا يفعلون؟ كل الرجال الذين كانوا في الدار رحلوا، فعدت إلى بيتهم، قلت لهم ما قالته لي، الجميع قد صمت وتفاجأ، لم نصلِ منذ زمن بعيد جدًّا.

فقلت هيا، ووقفت في الأمام وصلينا عليها صلاة الجنازة، والجميع يبكي، وأخذتها إلى غرفة واحدة، ولكن لم أقل لهم إنّي سأنام معها، أغلقت الباب وأخبرت ماريانا فقط، ونمت معها، أمامي جسد صامت، لا يتفاعل، لا أعرف ماذا أفعل به، كيف سأمارس الجنس معه، كيف سأحضر الشهوة، لم أكن خائفا من جسدها، حاولت أنْ أغمض عيني وأدخل في حالة من العماء أو أتخيل امرأة أخرى، ولكني في النهاية فتحت عيني، وأردت الوصول إلى أعماقي، لم أكن أشعر بالقرف إطلاقا، تساءلت فقط ما المشهد الذي تحيا فيه الآن؟ ما المشهد الذي ستحيا فيه لما أمارس معها الجنس؟ بدأت في تقبيل نهديها، جسدها بارد جدًّا بلا ندى في المهبل، بلا لعاب في الفم، ما هذه النفس الخبيثة بين جنبي؟ ما هذه النفس الجميلة بين جنبي؟ شعرت بجمالي عميق

في ذلك، إنني الوحيد في هذه الغرائبية، ابتسمت، وأدخلت عضوي في مهبلها، شعرت بأول مرة في الولوج أن جسدي كله انحدر إلى الموت، شعرت أني ميت بالفعل، ما هذه الموهبة فيّ؟! لا حرمة لأي شيء، وهي من طلبت مني أن أنام معها، تركت عقلي بهرائه وبدأت في ترك جسدي ينساب معها، شعرت ببرودة شديدة تتوغل فيّ وشعرت بألفة شديدة مع ما أفعله، كأني سقطت في الأبد اللا أيني واللا زمني، بالتأكيد سأطلب من امرأة أن تنام معي وأنا ميت وتدفنني بعرقها وماء مهبلها.

إن الشر هو الخلاص من الشاعرية ولا أسئلة عليه، إن السؤال عن المعنى يفقده، استلب الشر ذاتي كلها من الشاعرية، إن هذا الحرمان لمعنى الحياة يودي بي إلى التوغل في معنى هامشي سابقا لدى، معنى من العزلة شديد التطرف، مضاد لكل تاريخ وعيي الإنساني ومدركاتي وتاريخ وعي الإنسان ككل، إنها حربي ضد ذاتي، ضد كل علاقاتي معها، أنا منزوع من ذاتي، منزوع من دلالات الحياة.

شعرت حينها أني ميت بالفعل، وأن الأورجازم بين الحي والميت، أورجازم خاص لا يعرفه أحد، وأخذتها إلى مدافن في نهاية القرية خلسة، دفنتها هناك. ساور الرئيسة حزن شديد جدًّا لذلك، وماريانا أيضا فقد كانت تحبها كثيرا، جعل هذا الفعل الجميع يفكر في الله، ولكنهم ينسون بسرعة ما يحدث.

ولكن حزن الرئيسة لم يجعلها تنسى ميعادها معي اليوم لكي أنام معها، ماريانا كانت تمارس الجنس مع الذين يطلبوها، لم أتعرض لهذا معها ولكني كنت أعرف، طلبها أحد وأنا جالس في البيت فنظرت إلي وقالت له لا.

فهممت وقلت: مارسيه معه وأنا سأشاهده.

الطريقة التي كانت تمارس الجنس معي مختلفة تماما عما تفعله، كانت، تنظر في عيوني وهي تضاجع الرجل وأنا كذلك، لا أعرف بماذا شعرت، لا أستطيع تحديد شعوري في هذا الحدث الجديد علي، ولكني لست غاضبًا، وهي أيضا كانت لا تعرف بماذا تشعر؟ كانت تقول اسمي، وتغمض عينيها وهي تمارس الجنس. انتهت من مضاجعة الرجل وقالت: سأزيل لعاب الرجل من على جسدي، وبعدها نرقد معا على السرير عاريين.

كانت لي طقوس في الجنس، إدارة بعض الموسيقى لبريزنر وتعريتها ببطء شديد، وبعض القبل على أماكن معينة في جسدها، وقبل كل ذلك التحدث معها قبل أن نفعل أي شيء، الحديث كان أساسيًّا عندي، فلا أستطيع النوم مع أي أحد بدون التحدث معه ولو للحظات.

جاء اليوم الموعود، تجهزت الرئيسة وتغنجت ووضعت أحمر الشفاه، وقلمت أظافرها وشذبت شعرها وغسلت جسدها بالليمون ونظفت مكمنها وجسدها. جمعت الرئيسة العاهرات وأتوا من بيوت أخرى بعض العاهرات ليشاهدوا الرئيسة، حيث إنها لم تمارس الجنس من أكثر من سنة باشتهاء منها، كانت تثق بي لا أعرف لماذا؟ رغم أنها لم تشاهدني إلا مرة مع ماريانا وربما بسبب ما فعلته عند شم الهيروين.

لم أر انسيابًا بهذه الطريقة من قبل، جسدها قوي جدًّا، مهبلها كصحن غويط واسع ودبرها كذلك، ردفاها تلان يقضمان على قضيبي ويدي، قارئة فذة للجسد الذي معها، متحققة لخوفه وإرادته

في الفعل القادم، لديها تزامن رهيب لمعرفة ما أفكر فيه، حوارية ومجادلة لشهوتي، بغضب تفعل حركات غريبة كأنها تمضغني، تمضغ أحشائي السوداء وتغرقني بعنفها المفرط وتستدعي عنفي المفرط، كانت لحظات بعمري كله الغابر، العاهرة ليس لديها أي محتجب، إنها الشاسعة المشاعية العارية المتحركة في كمون وظهور، أكثر من يعرف عن الجسد وآفاقه وكيفية استفزازه وإخراج ملكاته القبلية، جلدها ناعم بشدة، بظرها يفتح ويغلق كوردة تتفتح، حلمتيها شديدي السواد، العيون كانت ملتمعة جدًّا، وماريانا كانت تحدق بي لكي ترى هل سأضاجعها كما أضاجعها هي؟ تريد أن يكون جنسنا مختلفًا، وفعلا كنت مختلفا لدرجة أنها وصلت للنشوة أولا، رغم كل هذه السنين التي بيننا وشعرت بالنشوة بعدها، وهذا دليل على إجادتي.

إن انقلاب الشاعرية إلى الشرية بسكب كل ما هو مضطرب في النفس لأنها بعد أن كانت تحيا في اليوتوبيا، أصبحت تحيا في الديستوبيا، وهي خضوع العزلة إلى المجتمع إلى اللا عزلة واللا عزلة القاسية هذه، إلى تأجج اللا سلطة الكثيفة، إلى الخبث والدناءة المتناغمين، التواصل مع ذاتي العنيفة تلك بصورة مباشرة وبوضوح شديد، كان هذا التواصل مغذيني ويملأ كياني بسرعة بالشرّ الذي لا أنتهي من الشهوة له، والتوق إليه، وفعله وهو ليس ظرفيًّا، ولكنه كان دائمًا بي، وله جذور من الطفولة، إن بي أفكارًا غامضة كانت تأتي لي وأنا صغير بعمل الجنون، كنت أتضايق من حياة الناس حولي على هذه الشاكلة الاختيارية من القمع المحبب إليهم، كنت أتضايق من ترتيب

كل شيء حولي، من المرئي كله وشكله، كنت أحن للتخريب والهدم الحقيقي لتركيب كل شيء، ولم أكن أنفذ ذلك إلا على ذاتي، وما أملكه، الآن أريد تنفيذه على العالم.

إن الشر مرتبط بالآخر بشكل كبير مثل الحب، ويمكن أكثر منه، والجنس يولد علاقة مع الآخر ضد العزلة ولكنها قيمة جدًّا، أخيرا وجدت فائدة للآخر، وهي تحقيق الشر عليه، ولكن هذا ضد وجداني، ولكني لم أعد أومن بأن وجداني هو المثير لأي فعل بل اللذة هي معياري الوحيد. كان عدم الشعور بأي حب لأي أحد هو الذي لا يجعل لدى ولاء لأي شخص ولا لأي معنى، لقد انقطعت علاقاتي كلها مع المعاني، ولحظة الانتحار هي اللحظة التي أنفذ فيها اللا ولاء ذلك، وخصوصا للذات والقتل هي لحظة فقد الولاء للإنسانية بشكل كلي، إن كل إراداتي غامضة إلا إرادة الشر، لم أكن أشعر أن بي حبا من الممكن أن أعطيه لأي أحد لذلك، لم أكن أستقبل أي حب من الآخر، لم يكن هناك أي تماس في باطني مع ذلك المعنى منذ ولدت.

كنت دوما خارج السيطرة في مخيلتي، خارج حدود الواقع القيمية والأخلاقية، وحانت لي الفرصة الآن لموقعة مخيلتي والالتذاذ بالفعل كفعل واقعي، حان الوقت لتدوين خارجيتي عن الحراسة الباطنية، إنه جبروت الغامض المظلم السوداوي، اللا توازن اللا مألوف الحقيقي، لا أعرف ما هي تركيبتي الدلالية ولا المدركية حقا.

إن المخيلة زنزانة، زنزانة جغرافيتها هائلة، وقد كانت الكتابة (التعبير) يفرغها، ولكني لا أكتب الآن فلزم تفريغها بالشر والعنف، إني

أكتشف نفسي في الشر. وقفت أمامها عاريا، كان هناك عاهرات كثيرة ولم أكن أكترث لذلك، ولم أكن أهتم أو أستحي أو كنت مُحْرجًا من وجود هذا العدد، لقد كنت واقفا أدخن ببطء وأنفث الدخان أمامي، كانت بي شهوة للجنس وشهوة للقتل، الشهوتان تغذيان بعضهما كثيرا، لم أستغرب من إحضارها لغربان ميتة وخفافيش ووضع الغربان على جسدها حتى سال الدم على نهديها، اقتربت منها بعد أن انتهت من التدليك، كانت ماريانا غسلت جسدي بالليمون وكانت تعصر الليمونة على شطح حلمتي وتعلقني، لم تتحدث بكلمة واحدة معي، كانت يداها ترتعش وكنتُ باردا جدًّا، غير مبالٍ بالقادم، لففت حولها وأدركت جسدها جيدا، إنها قوية بحيث ستنقذني وعيونها ثابتة لا تتحرك، بنظرات حادة جدًّا، فجأة قبلتها بعنف وأدميت شفتيها وهي كذلك، اختلط دمها بدمي بدم الغربان وبدأت في فتح ساقيها بعنف حتى كدت أكسر لها حوضها لعقتني كلي ولثمت دمي وعندها جننت أنا، جن رغبتي في قتلها، ورغبتي في إثارتها بعنف، رفعت ساقيها حتى أوصلتهم لرأسها وضغطت بشدة، كانت هائجة تريد الانفلات وتقول لي: هيا لج، شدت رأسي وقالت لي اقتلني، أريد أن أموت وأنا في الأورجازم، بدأت في الولوج وبدأت هي في ضرب رأسها في الأرض بعنف، لم أتوقف ولم أتردد وكان الجميع صامتا جدًّا، إن هذا الذي يحدث يخرج عتيقي البدائي، يخرج المطوق المحروس الملجوم، ما تحويه جهاتي الباطنية، ما تطمسه اللُّغة والشعر، لم أكن مطمئنا إليها كما قالت ماريانا، كانت تمسك بغراب ميت في يدها، حزت شرياني،

جرحى ثانية بحافره فسال الدم مني، فهجت أكثر لقتلها وفتق مهبلها، الجنس تورية للانتشار والرحيل والعنف، إنه شكل من أشكال الموت، من صيغه، من ترجماته، سكرته تشبه سكرة الموت، لقد هبط دم كثير من رأسها وشعرت أن قواها تذهب ولم أتوقف، ولم تتوقف هي على ضرب رأسها في الأرض، ولكني لن أستطيع البقاء بعد قتلها، سأقتل نفسي بعدها، لقد ضعفت قواي أنا كذلك جدًّا، إني أذهب إلى حيث لا رجعة، همست في أذنيها، اقتليني، حزي عنقي بحافر الغراب وهجت فضربت رأسها بيدي في الأرض، وهي تمسك حافر الغراب تريد عنقي فأعطيت عنقي لها وحزته.

الذات الحيوانية

كنت أتعامل مع النساء على أنهن صيد وفير، صيدي الوحيد للهروب من جعبة الأفكار العدمية، وهي تدرك ذلك وتعلم أني فاجر لا أهتم سوى لجسدها، ولم تكن ضد ذلك قط، بل في رأيها هذه طبيعة الحياة كلها التبادل النفعي، حيث لا يفعل أحدٌ أي شيء بدون علة، ولو حتى علة باطنية، إلا من هم حقيقيون جدًّا وهم نادرون. فقط ما يؤلمها أنها لن تنعم بهذا الجسد طويلا. أنا صريح جدًّا لدرجة الوقاحة، فأبوح برغبتي وشهوتي ولا أراوغ في ذلك أبدا، أتبع دوما قضيبي وذبذباته في الدخول والخروج.

كنت أستمني كل يوم أكثر من مرة، من عرفني على الاستمناء كان صديق أكبر منى بسنة، كنا نستمني يوميا على سطح منزله أمام النيل، نتحدث عن ذلك، ومن أريد أن أنام معها ومن يريد أن ينام معها، أول مرة خرج المني بصعوبة شديدة، كنت صغيرا جدًّا وقتها، ولكني رأيت أجسادا كثيرة عارية، كنا صغارا فلم يكن يهتم أحدا بوضع حجابٍ أمامه، وعلى حجاب على جسده، أو تغيير ملابسه أمامنا، فتظهر العورات كلها، كانت هذه المشاهد عبثية، أشياء بي تتحرك ولا أعرف ما هي ولكن الشعور جميل.

المقابر كانت المكان الأمثل لممارسة الجنس مع من هم في مثل سني، مِن مَن هم معي في الفصل الدراسي أو أكبر أو أصغر، فاقدين

العذرية هم، ندخل مقبرة ونمارس الجنس فيها، لم أشعر ولا مرة أن هذا عيب أو حرام أو مرفوض من أي أحد. أعتبر الجنس شيئًا عاديًّا طبيعيًّا ولكنه يستلزم الآخر الذي كنت منعزل عنه. والدين لا يسمح به إلا بالزواج ولكنه بالنسبة لي لا يستلزم زواجا، ولا يستلزم حبا، ولا يستلزم هذه الجلبة المجتمعية والجلبة الدينية عن كبته وتشهيته من خلال الدين. عندما أجلس مع أصدقائي ونسكر لم يكن يبوح أي أحد منهم إلا عن الجنس. كل لا وعيه جنس، أنا كنت أبوح عن الله والموت والجنس.

صار الأمر عاديا عند ممارسته كثيرا وشعرت بعد أول مرة مارسته أن كل النساء متشابهات في الشارع، كلهن لديهن مهبل ودبر ونهدين. لم أقع ولا مرة في الحب، لا أعرف لأني أمنطق كل شيء وأحتفظ بالكراهية لكل شيء أم لأني دنسٌ وشريرٌ، لا يهمني أي شيء سوى الجسد أما باقي الكينونة فاعتبره تافها في الآخر لأنَّه لن يجاريني فكريا ولا تخيليا أبدا.

كنت أتشاجر مع زملائي في الفصل، فأخلع كل ملابسي، وأظهر لهم قضيبي، فيخفون عيونهم ولكنهم في الخفاء يمارسون العادة السرية، ويشاهدون الأفلام الإباحية، ويمارسون السحاق في حمامات المدرسة، لأني وجدت صدريات كثيرة ممزقة، وأنا أذهب بعد المدرسة لتناول الحشيش.

هناك بنت لم تكن تخاف من أي شيء في الجنس. طويلة، فادحة الشهوانية أكثر من فداحة الجمال، لا حصر لنظرتها لإتيانها من كل شق. ردفاها عاليان وعريضان ومتوحدان مع باقي جسدها في تكامل وكمال. شفتاها إسفنج بارز وشفرتاها كجلد الطبل، جامحة بإيحائية للشريك للاندماج والاتهام. أنا أفعواني، على روحي هالات كثيفة من

الإثم وفي عينيّ بريق آخذ ندائي بحيث تفهم من أنظر لها أني أريدها فورا وبفوران. ظامئ جدًّا بحيث أتسلق الجسد من أسفل بعد لثم القدم والتحرش بطرف أنفي ولساني بأماكن الاستثارة في أسفل ردفاها.

سمراء، جسدها مليء، لا يحبها أي أحد، غاضبة طوال الوقت، لا يهمها أي شيء، من عائلة هم خدم عند العائلات الكبيرة، بيتها بجوار المقابر مهدم وبالطوب اللبن، والدها يسمونهم العبيد، قادمين على القرية، عرفتها عندما كنت ألعب في الشارع، الألعاب الطفولية، تعرفت عليها ولمستها أكثر من مرة، في البداية لم أقل لها أني أستمني كل يوم وهي في مخيلتي، ولكني أقدمت على تشهيتها عندما كنا نلعب، ولم يكن غيري في المكان، أنا وهي، فأخرجت قضيبي للتبول، كان منتصبا فنظرت لي وقالت "لم هو كالحديد هكذا؟"، لم أرد عليها ولكني نظرت لها نظرة شهوة عظيمة، وتركتها أكثر من يوم لتشتهيني، كنت صغيرا ولكن كان جسدي كاملا، الطول واتساع الصدر والنظرات الحادة والتعابير الصامتة الحزينة، وكان هناك توق رهيب للحزانى، أفرغ غضبي بالاستمناء من هذه المدرسة اللعينة التي لا أحبها، ولا أريد الذهاب إليها، كنت أهرب دوما ولا أحضر إلا عندما يكون الأمر مأساويا وسأفصل، كنت أستمنى في كل مكان وتأوهاتي كانت عالية ولكني أخفضتها وهذبتها حتى لا يسمعني أي أحد، لأنها ستكون مصيبة ولعنة عليّ لما أراه من هذا الخوف في الجنس.

كنت أشاهد الحمام وهو يركب بعضه، وذكر البط لدى جدتي وهو يركب البط كله، والتطاحن بين الكلاب على أنثى واحدة، حتى تصل

إلى القتل وقد شهدته مرة، رسمت حينها مهابل وأقضبة كثيرة، ولكني كنت أحرقها بعد أن أرسمها، ورسمت في حمامات البنات كذلك على جدران الحمام وعلى أبواب الغرفات وعلى حوائط البيوت في الليل.

في الدروس كنت أنظر بعنف لبنت من عائلة كبيرة كانت تأتي دوما وهي تلبس بلطونا زيتيا، وهناك ثقب أسفل إبطها، جميع أصدقائي كان منيهم يهبط في الدرس عندما تفعل أي شيء أو تقف بعد الجلوس، فيكون الثوب مرفوعا وهي كانت تنظر لي وتبتسم.

أتحسس دوما جسدي في الليل وأنا أستحم وأتحسس قضيبي وأقيسه وأنتظر شعر العانة أن يكتمل ليخرج بكامله وأستعجل الكبر عن طريق الرياضة. الشعر الطويل المنسدل على الوجه بعبثية وغير ترتيب، أظل أداعبه طوال الوقت خصوصا وأنا أفكر فيها، وعينان فاجرة رأت ما رأت من المهابل والدبور، تبتلع الجحيم من كل شيء وتشهيه لي، كلماتي البذيئة عارية دائما لا تستتر بأي حجاب أو خوف أو قيد، نظرتي دائما تنفذ إلى دواخل الجسد كأن كل نظرة تنتزع روع الكبت وترفع حشود الإبداع في الجسد الذي أضاجعه، الأنف الطويل الذي شم الكثير من رائحة لبن النهود إلى رائحة ماء المهابل والفم الذي يأكل الجسد بكل إشعاعاته وكل ضياعه في المضجع، تزدهر اللج في أحراش جسدي في الجنس وانساب كماء على شاطئ ذهابا وإيابا، إلى المستتر المتحجب اللا مشهود للعيان وانساب بعنف وانتشاء روحي، شهوتي لا تعرف الصمت ولا تعرف الغبش، منكشفة عندما أرغب للرائي بدون رموز لغوية أو خجل شعري، أرقب القدمين وتمثاليتهما بحيوية وأطلع

إلى الساقين الأعزلين فتهبط فحولتي، وأقضم على ما بينهما فيبكوا، أنا فاجر، وأعترف بذلك، ولا أخجل من فجري، لأنه الحقيقية البدائية لي وتجاوب مع الشهوة الجسدية التي هي أعمق شهوة في الإنسان.

ما بين الساقين غسق أجعله نورا، وما بين الردفين هاوية أجعلها مرئية تنتصب برؤيتي لها، المهبل مكان مظلم ضبابي، ولا يمكن أن أعرفه إلا بالنزول فيه لأن الضباب لا يسمح أن يعري جواهره لأحد إلا عند النزول فيه، القضيب يمط في الدخول والخروج، وهو يكتم تنهدات ونبض، دائما مستعر مجنون لا يهدأ من فتق أي ظلام كأنه عفريت صابئ يجب المجهول وتنبعث حياته منه ومن هذه الشجاعة، المهبل ساخن ومهيأ للدخول لا يغلق أبدا.

تناولت المخدرات مبكرا جدًّا، وكانت طريقة لجلب النساء لدي، لأن الحشيش يساعد على الجنس، فكنت أسرق حبوب الفحولة من خالي الطبيب الذي كان لديه صيدلية لزوجته. كنت أجلس مع الفلاحين الذين يزرعون أرضنا وهم يتحدثون عن الجنس، وماذا يفعلون كل ليلة مع زوجاتهم، كانوا يحكونه لبعض، وينصحون بعضهم بأشياء، لكي يظهر بأبهى حلة أمام زوجته التي كانت تخبر أهلها بما يفعله وهل هو يرضيها أم لا.

هذه الفتاة السمراء اتفقت معها يوما عندما أتت ولمست قضيبي، وأنا على سلم المدرسة في الخروج والازدحام، فكلمتها واتفقنا واتفقت مع صديقتين منهم هذه الفتاة في الدرس أن يكونوا موجودين، وأنا أمارس معها، ليشاهدوا، لأنهم تعبوا من ممارسة العادة السرية،

وتعبوا من هذا الكبت الرهيب الذي لا يفكرون إلا في التخلص منه، كان القمر بازغا ولم يكن هناك أي أحد، استحممنا أولا في النيل أنا وهي وخرجنا لننام على القش، كانت شهية وجسدها الأسمر يزيد من لمعان القمر عليها، لم أكن خائفا على علمي أنها شديدة المهارة فيه من كثرة الممارسة، صديقتيَّ عيونهم كانت تلمع وتشتهى بالنظر على جسدي وجسدها، تركتها في البداية تنام على القش وتدعك أطرف أقدامها ببعضهم وتتأوه وأنا في مشهد مهيب وورائي القمر وأنا عارٍ، وقضيبي منتصب، وعيونها مشتعلة تجرني وتشدني إليها، وأنا أتركها لكي تشتهي أكثر ولكي أشتهي أكثر حتى تأتي هذه اللحظة الانفعالية التي نتلامس فيها، عندما بدأنا الممارسة تعرت الصديقتان ولمسوا جسدي ومارسوا العادة السرية على مشهدنا، أنا وهي، حينها رأيت كلبا يركب كلبة، وهي أمسكت على قضيبه فيجرى، وهي تذهب به إلى كل مكان، ولا يستطيع الفكاك، وكان هناك رجلا يضاجع رجلا في مكان بعيد، والنور واضح، وظلهم يظهر، وأنا قد حررت الحصان قبل أن نفام، وحررت أنثاه في العريشة لكي يضاجعها، كان كل شيء يضاجع والصديقتين تنظران لقضيب الحصان بذهول.

طوال المضاجعة كنت أقول لها كلاما جنسيا قذرا، ولكنه كان شعريا، فقالت في الأورجازم وصرخت "إنك لشاعر، إنك لشاعر إلهي"، كانت هذه أول مرة يقول لي أحدا أني شاعر ولم أكن كتبت قبلها ولا كلمة. بعد المضاجعة قمت بعمل تيجان لنا من القش، ووضعت قشا في مهابلهم الثلاثة وربطت نهودهم به.

الديوان هو هذا المكان الذي كنا نجتمع فيه أنا وأصدقائي المجاذيب، نشرب ما يزيح الحزن لبرهة ونعود إلى حزننا ثانية بعد الخروج منه. غرفة هو هذا الديوان لشيخ الجامع. هذا الشيخ قد زار قضيبه أغلب مكامن النساء ومؤخرات المثليين، وقد تم تصنيفه منهم بأنه الأول بجدارة، مع أنه كان أفضل من يلقى خطب عن الزنا، فتجد صوته يعلو مرة واحدة ووجه يحمر ويدب على خشب المنبر، ويتحرك ويعلو وينخفض ويوقظ النائمين في المسجد، وحتى النائمين في البيوت بصوته العالي الجهوري المليء بالتقوى اللحظية التي يتحلى بها الجميع، فعندما يأتي موسم الحصاد يتكلم عن الزكاة لكي يعطيه الناس الزكاة، وعندما يأتي الشتاء يتحدث عن البرد القارس ليعطيه الناس الملابس، وعندما يموت أحدهم يتحدث بأجمل الكلام الممكن عن الميت ليعطيه أهله المال، ويتحدث بنعومة كبيرة مع النساء لتعطيه أجسادهن، ومع الشاذين لكي يعطوه مؤخراتهم، ومع الله ليعطيه الجنة والحور العين.

تضايق الجميع في القرية من الشيخ لأنَّه أصبح ينافسهم في العهر، وبينما هم يجلسون على قهوة كوبري القرية، وهم الذين تصدر تحت رعايتهم البذاءة في أي قرية، والذين يرخصون العاهرة ويختمونها. قلت وأنا أقوى منافس في العهر، ومغوي أكبر عدد من النساء، والذي أُعطي لناشئي العهر الدروس في اصطياد النساء، رغم أني لست جميلا أو شيئًا ولكني أجيد الكلام أكبر قوة في الوجود كله- لا بد أن نوقف هذا الشيخ الكاذب عند حده.. لقد صار أفضل مننا جميعا ويعرف الله،

هل المشيخة أفضل طريق للعهر أم ماذا؟! فلنكن شيوخ إذا عندما أسأل أي امرأة أنام معها تقول إنه الأفضل وأن قضيبه لم يأتِ به رجل قط!

فرد عليه غراب بغضب: وأنا أيضا هكذا.. هل يلقي عليه آيات قرآنية أم ماذا؟ أم قام بأعمال سحرية لكل أقضبتنا.. هل تجوز الأعمال السحرية للأقضبة؟! يجب أن نفعل شيئًا، وأخذ نفسا طويلا من النارجيلة.

فتحدث آخر: أين ذهبت أيامك عندما كان قضيبك يظلل القرية كلها؟!

فقال سيد وهو يقوم بنفخ عجلة لسيارة عابرة: أنا أفضل منه.. سأنفخ قضيبي بهذا المنفاخ!

فضحك الجميع رغم حيرتهم وقام علي وضربه على قفاه: حتى لو نفخته، ووضعت عليه خميرة!

وكان يمر من على الضفة الأخرى أحد المثليين الذي قلت له بصوت عالٍ "كيف هو حال قضيب الشيخ؟"، فرد عليه "طويل وعريض، ولا يتعب"، سأفكر لهذا الشيخ في شيء، ومشيت هائما ببطء، أفكر وأرسل يدي اليمنى في المدى، ويدي اليسرى وصدري للأمام فهذه مشيتي المعتادة منتفخا بعهري، فهي تعطي أهمية كبيرة له، كما هي أهمية صاحب المال ورجل الدين والذي يجيد الكلام ورجال العائلات الكبيرة واللصوص العظيمة.

أمامي شارعان يمينا ويسارا وصف بيوت في المنتصف، كانت عمارة القرية كجسد الإنسان نائم، فأخذت الشارع الأيسر الذي لا

يمشي فيه أحد، لعلي أقابل أي امرأة فيتاح لي الحديث بحرية، بالإضافة إلى أن الشارع الآخر كان غاصًا بكبار السن الذين يشبهون الكاميرات.

أمواج الهواء الساخن تقابلني كان الجو حارا جدًّا، أبواب البيوت جميعها مغلقة الناس تنام في القيلولة، أصوات التلفازات تتطاير من بعض البيوت، لم يكن غيرى في الشارع، وبعض المتسولين من بعيد وظلال البيوت النائمة في الشارع وبعد بعض الخطوات، خرجت امرأة رفيعة من ظلال أحد البيوت كان لديها وجه متوسط الجمال وأنف صغير وتديينة تهرب من تحتها بعض الشعيرات، ووجهها مدور بعض الشيء، وتلبس جلابية بيضاء، ما يظهر بعض ملابسها الداخلية، وجهها وجسدها مبللان بالعرق فيجعل وجهها يلمع ويجعل جسدها يشد جلابيتها إليه.

مطلقة منذ مدة بسيطة، عندما رأيتها دعكت قضيبي فهذه علامة من يرى مطلقة أن يفعل هذا، المطلقة في القرية هي العاهرة المستقبلية! أريد أن ألقفها قبل أن يفعل الشيخ، ولكنه بالتأكيد حصل عليها فالشيخ دائما هو الذي يدخل في الصلح بين الأزواج المتخاصمين، وبالطبع يجلس معها على انفراد، وفي هذا الانفراد يقوم بالمطلوب!

الشيخ والعاهر فقط من يعرفون كل شيء عن نساء القرية، لأنَّ الشيخ هو وسيط الله، هكذا هو في رءوس العامة، ولديه الطرق السعيدة لهم، يرسمها لأنه يعرف ماذا سيحدث، وهذا طبيعي في المجتمع الجاهل، أن يكون رجل الدين هو أكثر الأشخاص أهمية، يسألوه عن كل شيء وهو يفتي لهم بما يتمشى مع مصلحته الشخصية.

اجلس مع الشيخ وستعرف من التي ستتطلق، ومن التي تفكر في الطلاق، ومن التي تخون زوجها، ومن التي تفكر في خيانة زوجها، ومن التي لا تنام مع زوجها، وآخر مرة ناموا معا، وكيف تدخل إلى هذه المرأة. كان فقيه العهر بدلا من فقيه الدين!

وقال لها مهتما، ولكنه بدون فقد سيطرته على ذاته وكبريائه: كيف لهذا الحمار أن يترك امرأة كهذا؟ يجب أن يخلوا الشارع بأكمله عندما تسيري به، أرى الملائكة تزفك في جلبابك الأبيض، لا تخلعيه أبدا، حمدا للرطوبة التي جعلتك تعرقي، يجب أن أخذ عرقك هذا الذي على وجهك لكي أشربة فيشفيني من كل أسقامي ويشربه جميع الناس لكي يشفوا! فضحكت ضحكة خفيفة، ولوت وجهها مخبئة فرحها بأني بنفسي أنظر إليها، وأغازلها هذا النوع من الغزل، وأخذت تستعرض بجسدها وتمشي بأنوثة عالية حتى جعلت الوجود يرقص مع حركة ردفاها في عينه.

كان لدي بعض الشعرية التي أستخدمها في كلامي القوي جدًّا، تابعت المسير، بعدما راقبها إلى أن ضاعت في المدى، وأحتمي بظل بيت ونظر في الشارع بفرح. وأخذ يقول: ما أجمل الشوارع الفارغة من الناس، وما أجمل العالم الخالي مِن الناس.. وانتهى ظل البيت العالي وخرج في الشمس مرة أخرى فرفع رأسه قليلا للسماء، وقال: من الذي نسي الكون مولّعا؟!

كانت هناك مربعات من الضوء ومربعات من الظل متتالية نائمة على الأرض، فأخذت أنط من مربع مضاء، إلى مربع غير مضاء، حتى

فاجأتني شحاذة تلبس خمارا أسود، وتغطي وجهها، وتمشي ببطء وتقول بلهجة قوية: لا تعرف أين ذهبت ابنتي؟

فاعتدل من اللعب وقال متسائلا: من ابنتك؟

فقالت مسرعة: فتاة في السابعة عشر من العمر، تلبس جلابية سوداء وتديينه غامقة.

- اهدئي يا حاجة.. أين تركتيها؟

- هي كانت في هذا الشارع وأنا في الآخر وهل القرية بها غير هذين الشارعين؟! أين أنتِ يا ابنتي؟ أين أنتِ؟

ففكر قليلا وقال في نفسه أين ستذهب؟ وأراد أن يسألها هل هي جميلة؟ ولكن لم يرد سؤالها مباشرة لكيلا يقلقها فقال لها: بالتأكيد تفعل شيئًا ما، قد تكون تشترى شيئًا ما من محل أو صيدلية، البنات وأشيائهم!

- نعم هي تهتم بشكلها، وقد قلت لها سابقا مائة مرة ألَّا تفعل ذلك، فحصل على ما أراده، وفهم وتأكد أن أحدا ما قد لعب بها، وهو يعرف جميع المتخصصين في هذا النوع الصغير في السن، فلكل منهم نوع معين من النساء فهو متخصص في المطلقات وما فوق الثلاثين.

- إن وجدتها أو سمعت عنها سأقول لكِ. أين ستكونين؟

- سأعطي هذا الرز الذي لممته إلى هذه السيدة في المحل لكي تحفظه عندها، وسأبحث عنها وسأكون على الكوبري.

- لو وجدت شيئًا سأقول لكِ.

ومشي قليلا يتماوج ويفكر هل هو الشيخ؟

حتى لاح أمامه المسجد فاستأنس وتوقف عن اللعب وخفض رأسه قليلا، ومشي ببطء حتى وصل إلى السلم فوجد بعض الأطفال يخرجون مسرعين من المسجد ويقولون: جدنا أحمد لديه قرموط!

فقد ذهبوا للمسجد لغسل أياديهم ورءوسهم من اللعب، واللجوء قليلا في المسجد حتى تخف هذه الحرارة التي لا تطاق، فدخلوا الميضة التي في المسجد، كانت الأجداد تستحم، فبعد الستين هذا هو الطبيعي أن يمسك الرجل السبحة، وتظهر علامة الصلاة، ويربي ذقنه، ويتكرر في حديثه إن شاء الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا باللّه، ويقضى في المسجد أكثر وقته ويمسك المصحف الشريف ويتمسك بالسلطة القائمة، والأمن والأمان ويهز رأسه على كل كلمة يقولها الشيخ، وهو قد فعل كل الكبائر والصغائر في كل الأديان السماوية والوضعية التي هبطت وكتبت والتي لم تُكتب بعد!

فوجدت الأطفال جدنا أحمد يغسل قضيبه خارج الحمام فحسبوه قرموطا. ودخل مبتسما ابتسامة مدفونة، هناك بعض النائمين في المسجد فبعضهم نائم تماما لا يتحرك، وبعضهم نائم ويحلم بأحلام جنسية، ما يستدعي أن يقوم شخص من الجالسين كل فترة بأن يوقظه، ولكنه ما يلبث أن يعود مرة أخرى.

بعض الشيوخ أحدهم يجلس ويمدد رجله ورأس أحدهم على فخذه يفليه من القمل، وآخر رافع رجلاه على الحائط فتظهر فخذاه البيضاء، وأحدهم يقرأ القرآن، وأحدهم يصلي، ولكن عيناه تتحرك إلى

اليمين إلى أن تنتهي منه وتتحرك إلى اليسار إلى أن تنتهي منه، يشاهد الذي يدخل للمسجد والذي يخرج كأنه لا يصلي حتى أنه أومأ له بيده. فسأل أحد الجالسين: أين الشيخ فؤاد؟

فقال له أحد الجالسين: لقد ذهب إلى بيته لكي يعطي إلى شحاذة قد قدمت المال والطعام.

فأرجع رأسه للخلف علامة على الفهم وقال ساخرا: اللهم أعطه لما يفعله وعلى قدر نيته.

فهم للخروج لكي يذهب للشيخ في بيته حتى كان العصر، فهم المؤذن بالقيام بالأذان، فقال له أحدهم: صلِّ العصر واذهب له أو انتظر سيأتي لكي يؤم بالتأكيد، فقال له: حسنا سأنتظره.

وذهب إلى الميضة لكي يغتسل.. لم يصلِ منذ مدة كبيرة أو لم يمارس هذه الحركات منذ مدة. فأذن أحد المؤذنين وقد كان يقول الأذان خاطئا وبصوت ينفر كل شيء، فجلس وأعاد رأسه إلى الخلف إلى الحائط ليتذكر عندما كان يكتب الشعر، ويدرس اللُّغة العربية، ويمحص الجملة والكلمة فهو لم يفز من شاعريته إلا بإيقاع النساء واستخراج الأخطاء التي لم تكن في اللُّغة فقط بل امتد إلى استخراج الأخطاء لكي شيء، ولأي أحد، حتى رأى كل شيء خاطئًا!

وقطع تفكيره علو صوت الشهادة فقام للصلاة، ولكن الشيخ لم يأتِ بعد فتقدم أحدهم من المتأهبين من إدام العائلات الكبيرة التي بنيت المسجد بعد نفاق البعض.

- لا يوجد أحد أفضل منك للإمامة

- بالتأكيد لا يوجد أفضل منه!

كان يفكر في الشيخ، وهو يصلي ولماذا لم يأت بعد؟ والذي بجواره كان يفكر في خصومته مع أحد على الأرض، والذي بجواره كان يفكر في الإمام الذي أخذ مكانه وهكذا، والإمام كان يفكر في الذي يرمي الزبالة بجوار المسجد حتى أنه بعد أن سلم مباشرة ولم يعتدل حتى لثانية قال: من ابن اللبؤة الذي يرمي زبالة بجوار الجامع؟! ونريد أن نقيم المجاري في القرية لأنها تطفح دائما، لا أستطيع التبرز ولا التبول!

فقال في نفسه: الحق أننا كلنا زبالة في داخل الجامع.. من الذي ألقى زبالة في داخل الجامع!

وفي التسليم لمح الشيخ الذي قد كان يصلي، الذي آخره من الركعات وبالطبع يصلى السنة ويسبح الله ويقول الأذكار.

كان الشيخ يجلس في المسجد في المكان المقابل للباب، بحيث يرى جميع من في الشارع حتى قدمت هذه الفتاة الشحاذة الذي وجهها نصف بريء ونصف آثم بنظرة غير مفهومة، وقالت له: إنها تريد شيئا لله فبالطبع لم يتوانِ هذا الشيخ الكريم السخي عن إعطائها شيئًا لله فأخذها وذهب إلى بيته، كان الشارع فارغًا إلا من القليلين، ولكن لن يشك أحد أبدا في الشيخ فكان يمشى أمامها ببعض الخطوات كموسى لكيلا لا يراها وهي تمشي، وهي تمشي متئدة فرحة بالحصول على اهتمام الشيخ الجليل الذي ترك المسجد لأجلها، فوصلا للمنزل غير

البعيد عن المسجد وأدخلها بعد تمرير عيناه على جسدها، وفحصه وتبين مواطن الامتلاء ومواطن العجز به وبالطبع لم ينظر لعينيها أو لوجهها قط.. جلب لها بعض الطعام، فما لبثت أن بدأت حتى قال لها بأن شيئا على شفتيها فمسح بيده على شفتيها، وبعد أن أكلت قليلا قال بأن شيئا وقع على صدرها، فأخذ يتحسس صدرها أيضا، وقال لها لا تجلس على هذه الأريكة، وأخذها على الأريكة الأخرى، ونفض تحتها وبالطبع تحسس مؤخرتها، فالشيخ يتبع خطة حديثة في إثارة أي امرأة، ولا يتبع أي شيء حديث إلا في العهر، وبالطبع بعد ذلك لانت تماما فهي مشرئبة بسبب الكبت الجنسي، وهي تعرف بأنها لن تتزوج إلا شحاذ مثلها، وشرفها لا يساوي الكثير بالنسبة لها، ولم تتحدث أبدا.

منذ أتى بها إلى المنزل، وأكلها ولم تقم بأي رد فعل على ما فعله، فأتاها كما يأتي البهيم حتى علا صوت الشيخ بالأذان فأمسكها وحبسها في غرفة أعلى بيته وحيدة بها بعض الفراخ والبط والإوز وأغلق عليها بالترباس وقال لها من وراء الباب.

- سآتي قريبا لا تقلقي! لا أستطيع أن أفوت العصر.

ولم تتحدث بأي شيء أثناء المضاجعة، ولم ترد عليه لعلها نسيت كيف تتحدث! كان أحد الأطفال يشاهده وهو يأخذ بيدها بينما كان يراقب سيدة أخرى على سطح آخر، فرآه وهو يدخلها الغرفة، ويتحسس جسدها، فانتظر إلى أن رحل وجلب أخيه الأكبر في السن وقفزوا إلى سطحه بعدما رمي الكرة إلى هناك وحررها. ولكنه لم يحررها بغرض الحرية، فقد حررها من قضيب إلى آخر، ولكن بغرض أن ينام معها

هو، فأخذها إلى المدرسة التي خرج منها الأطفال الآن، وهي فارغة تماما، إلا من بعض الذين يلعبون كرة القدم، ومكان آمن للنوم معها بها بالطبع، رآه بعض أصحابه فشاركوه الأمر حتى وصل الأمر إلى عشرين شابا والكثير من الأطفال.

يقول الطفل لأخيه: لا تفعل بها ذلك.. سأقول لأمك وأبي، لا تفعل بها ذلك ومسك بقدمه حتى رده بعيدا ورمقوه جميعا بنظرة قوية لأنه أراد أن يقمع ثورتهم الجنسية، ويثبط أمال قضيبهم. كان الطفل يتفرج على انحناءة امرأة، ويتمنى الفضاء بين جلابيتها وبين جسدها، وكان قد افتعل بعض الثقوب في سور المنزل حيث ثقب في كل اتجاه لكي يرى بدون أي إزعاج أكبر عدد من النساء المحيطة بالمنزل، ولكنه لم يقبل أبدا بالذي يحدث لهذه الفتاة، وأخذ يلوم نفسه على هذا، فما أن دخلت المدرسة حتى جردوها من ملابسها تماما، ورفعوها على الأعناق كمصلوبة، ويتم لعكها بالألسنة وبالأيادي، وحتى قام بعضهم بضربها، لأنه يثار جدًّا بفعل هذا. حتى دخلوا إلى السلم المظلم الذي يفضي إلى الدور الثاني للمدرسة، فتجردوا جميعا من الجزء السفلى من الملابس وأتوها من كل مكان، ولم تقل شيئًا أبدا ولم تصرخ، وتشاجر بعضهم على ذلك، حتى وقع الكثير منهم وقع على السلم متشابكين متشاجرين، وهي عيناها إلى السماء مرفوعة بنظرة غير مفهومة فهي حتى لم تبكِ، مع أنها ليست لها تجربة سابقة في هذا، ولكنها تشعر بأحقيتها في كل ما يحدث، ولم تكن تفكر في كيف ستتخلص من هذا كله، أو متى سينتهي هذا أو تتألم، ولكنها كانت تسمع صوتا كونيًّا يقول

في داخلها "هتك ربى عرضي أنا والله حرين مع بعض!" قام الولد من بكائه، ولمَّ ملابسها من على الأرض واستعاد عقله القوي..

التجسس الذي يداوم على فعله يجعل عقله يفكر طوال الوقت وفي أدق الأشياء.. سيذهب إلى أحدهم ويقول إن آباءهم قادمون ولكنه فضل ألَّا يقول هو، فقام وقفز من على سور المدرسة، وانتظر لحظات وذهب مسرعا وقال لأحد الأطفال: إن بعض الآباء قادمون فذهب الطفل إلى الجميع، وقال لهم بصوت مرتفع جدًّا: الكثير من الناس قادمون! فنزل الجميع بسرعة شديدة، وقفزوا من على أسوار المدرسة المتعددة، بعضهم نصف عارٍ وبعضهم يلبس وهو يجرى، ويتخبطون على بعض، حتى خلت المدرسة كبيت مهجور منذ مدة، وهدأ كل شيء، ولكنها لم تفرح بذهابهم ولم تحزن، وكانت مستمرة في النظر للسماء، حتى أسرع الطفل إليها وأبطأ عندما رآها ممتلئة بالسائل المنوي المتعدد، ولكنها على العكس لم يكن جسدها خائفا أو منكمش، بل كانت منفردة على الأرض، كأنها تنام نومة هنيئة للغاية وجسدها مرخي تماما، فقامت فاترة ملولة كميتة تمشى، ومد يده إليها، ولكنها لم تعره أي اهتمام، أو لم تكن تأخذ أي شيء في الحسبان، ما كان يعجبها كله في هذا هو المشي عاريا أمام كل شيء، ولكنها لم تكن تشعر بأي شيء آخر، ولم تفكر حتى بأمها، وكان الطفل خائفا ومذعورا، ويشعر بالبؤس لما حدث لها، ولأنه السبب في ذلك.

أخذها إلى بعض الحنفيات القديمة التي يشرب منها الأطفال بجوار بوابة المدرسة المهترئة، ومسح لها جسدها، ولكنه لم يثر أبدا

بهذا المسح، كانت هادئة لا تصدر أي حركة، ولكنها قبلته في فمه بعض أن انتهى من كل شيء، ونظرت له نظره شفقة كبيرة، كأنها تسامحه على كل شيء، ورحلت إلى الكوبري، لم تعد تشعر أنها هي التي كانت منذ ساعتين فقط.. لم تعد خائفة أو قلقة كما العادة أو منطوية كانت تمشي بكبرياء متوسط حررها شيء في الذي حدث، ولكنها لا تعرف ما هو ربما حررت إنسانيتها.

ذهبت أمها لتأخذ الأرز الذي لمته من جراء مشيها في هذه القرية والقرى المجاورة ولكن المرأة صاحبة المحل قالت لها: اغربي عن وجهي لم آخذ منك أي أرز! وبالطبع لم يصدق أحد شحاذة ويترك صاحبة المحل التي هي من عائلة كبيرة في القرية، فطلبت الأم من ابنتها أن تنتظر على الكوبري، وهي ستذهب إلى داخل القرية لفعل شيء، وكان هذا الشيء أن هناك إسكافيًّا يمشى حافيا، ولا يتحدث مع الناس إلا عندما يطلب المال، رأته وهي تبحث عن بنتها، جالسًا على سلالم بيت يخيط حذاء، كان ينام معها، بما أنه لا يستطيع الزواج، ولن يرضى به أحدٌ، وهي قد كبرت في السن ولم تعد مرغوبة من أحد، فذهب له وأومأت أن يأتي خلفها ودخلا إلى حقل قمح، وأتاها بعنف وبعد ذلك رحلت وتركته يلبس ملابسه.

كنت أنا نائم في المسجد، نمت وأنا أصلي، استيقظت وشعرت أن كل شيء مجنون. كنت عدائيا جدًّا ضد كل شيء إلى أقصى حد وأولهم ذاتي. لا أربى الحدود داخلي أبدا وهذا أمر شاق جدًّا على واقعيتي. قلبي مُعادٍ لم يعد يصيد حتى الطيف. ينكمش ويختفي. أَنظر للجهات

الأربعة، وأقول في ذاتي "ليسوا جهاتي". أحلم أني أطير عشوائيًّا لا خلف أي شيء وأسقط دوما بلذة. يجب أن يتدمر هذا الديوان، هذا المكان الذي كان يسعنا ويسع خرفنا وجنونا وخبلنا. سأذهب لأحرقه لا لأن الكلام كثر عنا، ولكن لأني قرفت من مأوى يضمني.